المشرق

إزدهار الديانة الكاثوليكية في انكلترة

بقلم الاب يوسف جباره اليسوعي

ان انتشار الكثلكة ونفوذها العجيب في انكلترة لامر شغل الخواطر في الجيل الغابر حتى لهج بذكرهِ كل من أتبع سَيْر السياسة وخُطَطها واترلهُ من الاهميَّة منزلًا مكينًا.

هذا ما حملنا على الخوض في ميدان هذا الموضوع فتقصَّينا حالة الكنيسة الكاثوليكية في مملكة الانكليز منذ ضرب فيها الاصلاح اطنابهُ وتتبَّعنا آثارها الى ان ولجت صدر الجيل التاسع عشر فبدت لنا وعلى مفرقها اكليل مجد وفخار ضفرتهُ ايدي العناية الالهية مكافأة لها لما تجرَّعتهُ من كؤوس الهوان مدة اجيال طوال

ولا يجهل لبيب ان الكنيسة قد تقلَّبت في تلك الامصار منذ ذاك العهد بين ريحين زعزع ورخاء وجازت طورين طور اضطهاد وهناء. فالطور الاول تضمَّن السنين التي تصرَّمت منذ نشأة الاصلاح وقد كانت لها تلك الايام ايام ضنك وامتهان انتهى تاريخها في ٣٠ نيسان سنة ١٨٢٩ حيث فاز الكاثوليكيُّون الانكليز بسهم الحرّيَّة والاستقلال الديني. والطور الثاني تبلَّج فجرهُ في غرَّة تلك السنة السعيدة على اثر اضمحلال دجن الظلم فافترَّ ثغر شمس الحرّيَّة وتألق ضياء العدل سنة ١٨٣٣ يوم نجمت الحركة الأكسفورديَّة وبلغ سناؤهُ درجة الكمال سنة ١٨٥٠ في اليوم التاسع عشر من ايلول اذ أُعيدت الهيئة الكنسيَّة الى نصابها. فحينئذٍ سطع الحق فجذب باشعَّتهِ الفتَّانة

طائفـة عظيمة من الانكليكانيين الى سُنن الرشاد وبار سِفر الاصلاح في كل وادٍ وناد

ومَن ثمّ طرفة الى كلامنا بطويّة لا تشوبها قذى الاغراض تجلّت لهُ آية الحقيقة واحلّ قولنا محلّ الرضى. وغاية ما نحرّيناهُ في عجالتنا هذه خير الانفس وإيّاهُ نزجو وهو لنا خير نصيب فنقول :

لا مشاحة انّ الكنيسة الكاثوليكية في انكلترة سائرة على قدم النجاح مترقية في معارج الفلاح. وبيانًا لذلك فلنرقَ سلّم العصور التي عبرت ولنطّلع من ذراها على ما كانت عليه انكلترة في ذلك الزمان وما آل اليه امرها في ايامنا هذه

وليس غرضنا في هذه المقالة ألا البحث عن شؤونها الدينية مبينين ما احرزتهُ الكثلكة من التقدم بينا الاصلاح آخذ في التقهقر والانحطاط. والكلّ حتى الانكليكانيون انفسهم صوت واحد في اعلان ما يساور ذلك المذهب من عوامل الخراب

أجل انهُ لأمر ظاهر كالشمس في رابعة النهار انّ الكثلكة حلّت في بلاد الانكليز مدة ثلاثة قرون متوالية محلّ الذلّ والهوان فلا غرو اذا غاض معينها او كاد في الجيل السادس والسابع والثامن عشر ولا بدع اذا لم يبقَ من ذلك البحر الطامي ألّا جداول قلائل توّمها الكاثوليكيون الأمناء للارتواء من عذب مواردها

وكنت تراهم مع ذلك مطارَدين منفردين في دورهم ولم يبلغ عددهم سنة ١٨١٤ حسب التقاويم الراهنة في انكلترة جماء ألا ١٦٠,٠٠٠ نفس تولّى قيادتهم الروحية اربعة نوّاب رسوليين واربعمائة كاهن ابتعد سوادهم عن مخالطة المدن وأنفوا الظهور في ساحاتها لما كانوا يلاقونهُ من الحيف

وأمّا المعابد فكانت في غاية النُدرة تحسبها بيوتًا اعتيادية قد اختفت في زوايا المدن وتوارت في ظلالها. واذا ما حملت الجرأة كاهنًا فنصب صليبًا على باب كنيسته فكانت الشرطة تبادر وتزيلهُ خوفًا من إثارة نقع القلاقل

والآن ادخل معي ايها القارئ العزيز احدى تلك الكنائس الحقيرة فتشاهدها عطلًا من الحلى التي ألفتها أخواتها في زمن نضارتها وعنوان امرها كأنها زهرة لا تستطيع ان تتبلّج انوارها من اكمامها خوفًا من يد غشم تذهب برائع جمالها وضنًّا بعرف ينمّ بفضلها فيقضي عليها بالفناء. لا تُقام فيها حفلة من حفلات الدين ألّا خفية

ونادراً كأنهُ حُتم على الكاثوليكي ألّا يرفع علناً يد الضراعة الى رب البائسين ويجاهر بالصلاة لربّ العالمين

ذلك لانّ الانكليكان كانوا جاهلين حالة الكاثوليكيين غير واقفين على حقيقة ديانتهم. وهذا ما اثبتهُ احد المهتدين الاوَّلين المستر أوكلي (Le chanoine Oakeley) في مقالة لهُ وهو حرٍ بكل ثقة لكونهِ قد ربي في خدر الاصلاح واوضع قبل اهتدائهِ رعاياهُ لبيان هذه المزاعم. فقال في جملة ما قال: « انّ ابناء وطننا كانوا اوانئذٍ أعلم بعوائد المصريين واليونان منهم بعوائد الكاثوليك العائشين في بلادهم. بل كان كثيرون منهم يقضون العمر الطويل ولم يتلفَّظوا قط باسمهم ولم يجيلوا قدح الفكر في امرهم »

وما من احد يقدر ان يطلعنا على شؤون الكنيسة في ذلك الزمان مثل العلامة نيومن فقد وصفها في احدى خطبه كما رآها مرأى العين وهو حدثٌ فشابٌّ فكهلٌ قال لا فُضَّ فوه: « لم يبقَ في انكلترة عام وُلدتُ للكنيسة الكاثوليكيَّة نظام او قوام لم يبقَ الّا عدد قليل من اعضائها المتشبثين باذيال الديانة القديمة. فكنت تراهم يجوبون البلاد حليفي الصمت ذليلين فضلات اناس « كاثوليكيين رومانيين » قد درسوا وطُمست اعلامهم. كان مواطنوهم يظنُّونهم رجالًا قاموا باعباء مهمة بشريَّة ليس الّا... لم يكن لهم في زعم الناس هيئةٌ ما تمثّل عائلة المؤمنين الكبرى المنبثَّة في اقطار المسكونة بل كانوا عصابةً لا يسدُّ عن الحصر عددُها كانهم حجارة واطلال ابقاها طوفان الاصلاح العرمرم من ذيَّالك الصرح الشاهق الذرى. فكنت تصادف تارةً طائفةً من الارلنديين الصعاليك داخلةً وغادية في آونة الحصاد وتارةً فئةً منهم ترحوا عن اوطانهم ليقضوا أيامهم في اطراف العاصمة الكبرى كسباً لمعاشهم وسدًّا لفاقتهم. وأخرى كنتَ تشاهد في الشوارع شيخاً وقوراً معتزلًا عن المارّة متزيّداً بزيهِ وعليه تلوح مخايل النبل وتسمع السابلة يومئون اليه قائلين: « لحقَّ انهُ من عائلة عريقة في الشرف وهو كاثوليكي روماني ». واحياناً كان يبدو لك بناء قام على طرز قديم ظاهرهُ وضيع حقير احتجب وراء جدران عظام وفي مقدَّمته باب حديدي تليه شجرة سرو او شربين وكانت المارّة تقول عند رؤيته « هنا اقام كاثوليكيون رومانيُّون ». ولكن ما من احد كان يدري مَن هم وأيَّة حرفة كانوا يتعاطونها بل ما معنى اسم « كاثوليكي » الوارد على شفاههم... وبالحقيقة لم

يكن علم الانكليكانيين باحوال الكاثوليك ليخرج عن هذه الدائرة الضيقة النطاق... ولذلك كانت العين لا تقع على كاثوليكي الَّا في الازقّة المنفردة او في الاقبية وزوايا البيوت المهملة او في البراري المقفرة بمعزل عن الناس مجاوريهم ويستطلعون طِلْعَهم من وراء ستر مظلم او من وراء غمام كالح. واخيرًا استحال ذلك الجفاف لينًا وتعطُّفًا فحمل السخاء أحنّهم على ابناء جلدتهم ضلوعًا على تخفيف بلاياهم وضمّ متفرّق نشرهم. غير انهم لم يُولوهم هذا المعروف الَّا لعلمهم بان مبادئهم الرومانيّة الواهنة النسيج لا تقوى على اجتذاب عاقل الى فتنهم وليقينهم ان هؤلاء العفاة الاذلّاء اذا نظرت اليهم الحكومة بعين الرأفة وشدَّت ازرهم يبادرون الى جحد عقائدهم ويأنفون منها خجلًا... (١) »

تلك كانت حياتهم في الطور الاول. قضوا اجيالًا ثلاثة وهم يُعامَلون كأنهم غرباء او لبلادهم أعداء. عاشوا وليس لهم رغبة الَّا في حفظ وديعة ايمانهم وقضى اكثرهم بعد ان ذوى في قلوبهم غصن كل امل بنشر الكنيسة من لحدها الزَّمِن

ذلك هو المشهد الناطق بما عاناهُ الكاثوليكيون في اثناء الطور الاول. والآن فلنمزّق النقاب عن محيّا الطور الثاني ولنرنُ قليلًا الى بديع محاسنه. ففيه قد قامت الكنيسة من رمسها فشتّان ما بين يومها وامسها. نهضت اساقفتها ورؤساؤها الروحيون من حضيض الذلّ ونفض اعضاؤها غبار الموت قامت متسربلة بحُلّتها الملكية فطأطأ لها الجميع رؤوسهم اجلالًا واوسعوها ثناء زادها رفعة وكمالًا

قد كان ابناء الكنيسة الانكليزيون في بدء الجيل التاسع عشر زهاء ١٦٠,٠٠٠ يدبّرهم اربعة نوّاب رسوليين ونحو اربعمائة كاهن كما قلنا آنفًا. الان اصبح لهم هيئة كنسيّة تمّ عقد نظامها وهي تتألف من كردينال رئيس اساقفة وخمسة عشر اسقفًا ومن الفين وتسعمائة كاهن في انكلترة وحدها دون ارلندة وسكوتلندة. امّا عدد الكاثوليكيين فقد اربى على عشرة ملايين ونصف في بريطانية العظمى وسائر توابعها. فنهم ١,٥٠٠,٠٠٠ في انكلترة و٣٥٦,٠٠٠ في سكوتلندة و٣,٥٤٩,٩٥٦ في ارلندة (حسب احصاء سنة ١٨٩١) والباقي في البلاد الخاضعة لسلطتها

(1) Newman's occasional sermons: the 2[d]. spring, (prêché à Oscott. le 13 Juillet 1852) –

وان اردتَ ان تقف على عدد رؤساء اساقفتها واساقفتها ونوّابها ورؤسائها الرسوليين فهاك جدولًا نقلناهُ عن الدليل الكاثوليكي الانكليزي لسنة ١٩٠١ (١):

		كراسي رؤساء اساقفة	كراسي اساقفة	كراسي نوّاب رسوليين	كراسي رؤساء رسوليين
بريطانيا العظمى	انكلترا وبلاد الولش (٢	١	١٥	٠	٠
	سكوتلندة (٣	٢	٤	٠	٠
	ارلندة	٤	٢٣	٠	٠
مستعمرات انكلترا وتوابعها	في اوربّة	٠	٢	١	٠
	في آسية	٧	٢١	٨	٥
	في افريقية	٠	٢	٩	٦
	في اوسترالية	٥	١٣	٢	٠
	في اميركة	٨	٢٢	٦	١
	في زيلندة الجديدة	١	٣	١	٠
	مجموعها	٢٨	١٠٥	٢٧	١٢

ولا تسلْ عن كنائسها ومعابدها إن عموميّة وإن خصوصيّة، فقد تكاثرت تكاثرًا جزيلًا حتى يخال للجائل في اكناف انكلترة انهُ في عاصمة الدين الكاثوليكي ومعقل الايمان المسيحي. فيوجد فيها ١٥٣٦ كنيسة ومعبدًا فتحت ابوابها للعامة وان اضفتَ الى هذا العدد البليغ بقيّة المعابد ومقامات الصلاة الخصوصيّة لأناف مجموعها على الألفين عدًّا

وما قولك في الرهبانيات والجماعات الاكليريكيّة التي ازهرت في تربة المملكة الانكليزيّة وعطّرت بعبير فضلها وفضائلها الارجاء السكسونيّة؟ بل ماذا يقول يا تُرى هنريكوس الثامن وذووهُ فلسفري لو أُتيح لهم ان يرجعوا زمنًا يسيرًا الى عالم الوجود فرأوا في حاضرة الاصلاح ومتجمهِ الحرّيّة من جهة البنديكتيين والكرمليين والدومينكيين

(١ The catholic directory (*Oales and Burns*)

(٢ لانكلترا ايضاً رئيس اساقفة واسقفان لها كراسٍ لقبيّة وشرفية « of titular sees » لم يذكرهم الدليل في جدولهِ العام

(٣ في سكوتلندة يوجد رئيس اساقفة واربعة اساقفة في ابرشياتها الست و ٤٦١ كاهناً و٣٥٠ كنيسةً معبدًا

والفرنسيسيّين والسيسترسيين (Cisterciens) واليسوعيين والمريميين وخدّام مريم البريّة من كل دنس ورهبان الفداء والآلام والقديس فيلبس النيري (الاوراتوريين) ثم من جهة اخرى راهبات قلب يسوع الاقدس والقديسة اورسُلا وسيدة صهيون وراهبات المحبة والكرمل والدومينيكيّات والفرنسيسيّات وهلمّ جرًّا أوَلا يوقنون ان الكنيسة قد عادت الى عزّها السابق أيّام منح الحبر الاعظم هنريكوس المذكور لقب « محامٍ عن الايمان » ? أوَ لا يظنون ان دواليب الاحقاب قد ادبرت فاحلّتهُ صدر تلك الاجيال الذهبيّة التي شرّفها القديس اغسطينوس رسول انكلترة بعجائبهِ ومآثرهِ الباهرة فلقّبت الأممُ المملكةَ الانكليزيّة « تربة الملائكة » ?

وليس مرادنا الآن تعداد ما فيها من الرهبانيّات المختلفة النزعة الدائبة في بثّ عوارف الانجيل المقدس الباذلة كنانة جهدها في تثقيف العقول موثرة العناء على الراحة في سبيل الخير والاحسان بل حسبنا ان نذكّر القارئ انهُ يوجد في وستمنستر حيث مقام رئيس اساقفة انكلترة احدى وعشرون رهبانيّة وجماعة للرجال وثلاث وخمسون للنساء. فكيف بنا لو استقصينا وصف الرهبانيّات اللاذدة بكنف انكلترة في الخمس عشرة ابرشيّة الباقية. ومن اراد ان يطلع على اسمائها فليتصفّح الدليل الانكليزي الآنف الذكر فالصيد كلّهُ في جوف الفرا. وقد امتازت ابرشيّة سلفورد عمّا سواها بكثرة مدارسها ووفرة الكاثوليكيين فيها فقد قرأنا في ذلك التقويم انهُ يوجد فيها ٢٦٣,٠٠٠ كاثوليكي و ٥١,٨١٩ طالبًا عكفوا على اقتباس العلوم والصنائع في مدارسها العديدة. ودونك ابرشيّة لڤربول. كان الكاثوليكيون فيها يوم جُدّدت الهيئة الكنسيّة ٢٠٠,٠٠٠ نفس واليوم اصبحوا ٣٣٠,٠٠٠. وكانت كنيستها ١٢٠ فغدت اليوم اكثر من ٤٠٠ وكنائسها ومعابدها كانت ٨٦ والآن بلغت ١٧١ وازداد عدد الدعوات الرهبانيّة ازديادًا عجيبًا

وما حارت الابصار فيهِ ووقفت البصائر عليهِ هو امر الاهتداءات المتواترة التي ذكرها الكردينال ڤون في كتاب مطوّل بعث بهِ الى حضرة الاب راجي (Ragey) فنشرهُ في مقدمة تأليفٍ لهُ وضعهُ في شؤون الكنيسة في انكلترة . قال رئيس اساقفة وستمنستر ان الاهتداءات تبلغ كل شهر ٦٠٠ شخص حتى لا تكاد ترى عائلة انكليزيّة لم يرتدّ منها عضوٌ او اكثر الى حجر الكنيسة الكاثوليكيّة . ولا يحسبنّ القارئ ان اولئك المهتدين خرجوا من صفوف رعاع الشعب وسقطهِ . فقد أطلعنا على حسّيبهم

ونسبهم الكردينال ويسمن منذ نصف قرن (١ قال: ان الارتدادات لا تزال آخذة في الازدياد وتحيط دائرتها بكل المقامات حتى ما علا منها وتسامى رفعةً في الهيئة الاجتماعيّة. هذا ما ملأ كأس فرحنا الى الاصبار وقد رأينا مرأى العين عددًا ليس بقليل من طلّاب المدارس العليا قد رجعوا الى ديانة اجدادهم وقد اسعدني الحظ بقبول كثيرين منهم في حضن الكنيسة المقدسة...»

وهاك دليلًا آخر ينبئك بما نالتهُ الكنيسة من النجاح الغريب في انكلترة. كان الكاثوليك منذ نكبة الاصلاح حتى اوائل القرن التاير أُبعدوا عن المناصب الدولية والمراتب الرفيعة بل ساموهم بادئ بدء خسفًا. والآن كم حالت الاحوال وتقلّبت الملوك والرجال. ذكر لهذه السنة «الدليل الانكليزي الكاثوليكي» لانكلترة وارلندة ٧٧ عضوًا في ندوة العوام (House of Commons) و ٣٣ في ندوة الامراء (H. of Lords) و ١٨ في مجلس الملك الخاص (Privy council of Great Britain) و ٤١ لوردًا (Peers) و ١٥ لوردًا شرفيًا و ٥٢ بَيَرُونًا (Baronnets) و ٢٦ فارسًا (Knights). (راجع The C. Directory, p. 70 etc.)

ولو اوردنا تفصيل قائمة المهتدين في العصر الماضي سنةً فسنةً لاستغرقت اسماؤُهم ورتبهم المنيفة صفحات عديدة من هذه المجلّة. وقد ظهرت في كراس دعاهُ صاحبهُ «أرداف رومية» (Rome's Recruits)

واليك اسماء بعض من ولجوا حظيرة الكنيسة الكاثوليكيّة منذ ١٨٤٢ الى ١٨٥٠ قال المؤرخ دي مادون في كتابهِ الموسوم «بانتشار الكثلكة في انكلترة» ما نقلناهُ بنصه الحرفيّ: «جحد مذهب الاصلاح سنة ١٨٤٢ برنار سميث (Bernard Smith) ووَكَرْبرث (Wackerbarth) وهما من خدمة الدين البروتستاني ولباج رنوف Lepage (Renouf) وبيدن (Biden) وجونسون (Johnson) وجرنت (Grant) وادوار دوغلاس (l'honorable Edouard Douglas) وكلهم خرّيجو اكسفورد. وسَنكي (Sankey) الذي انهى دروسهُ في كليّة دوبلين. والسيدات الشريفات إليوت (Miss Eliot)

The religious and social position of Catholics in England, by H. E. (١ cardinal Wiseman (adress delivered to the catholic congress of Malines, August 1861)

وغلادستون (Miss Gladstone) اخت الوزير الشهير وبركينس (Miss Perkins) وبيتور (Miss Pittor) وكرو (Miss Crew) وحليلة الكونت دي كلار (la comtesse de Clare)

وفي سنة ١٨٤٣ اهتدى جرج تلبوت (Talbot) الذي عُيّن فيما بعد حاجباً لقداسة البابا بيوس التاسع (camérier) وكثيرون غيره لهم الذكر المستفيض في انكلترة ولكن يجهل حالهم اصحابُ وطننا كففنا البنان عن سرد اسمائهم. وفي سنة ١٨٤٥ كثرت الاهتداءات كثرةً فائقة. ففيها تمسَّك بعروة الكثلكة العلاَّمة نيومن فتلا تلوهُ في زمن قليل ثلاثمائة شخص اغلبهم من خدمة الدين البروتستاني ومن طلاَّب الكلِّيَّة الاكسفورديَّة الحائزين على الشهادات العالية كورد (Ward) وأوكلي (Oakeley) وفريدريك وليم فابر (Faber) الكاتب الضليع المتفنّن وادوار برَون (Ed. G-K. Broune) وألباني كريستي (Albany Christic) ودلغرنس (Dalgairns) وهلمَّ جرًّا. ومن مهتدي سنة ١٨٤٩ اللورد ملبورن وسير بثرست (Sir Bathurst). وسنة ١٨٥٠ كانت سنة نعمة لكثيرين من الاشراف ففيها اعتنق الديانة الكاثوليكيَّة الكونت دي روسكمون (C^te de Roscommon) والفيكونت فيلدين (Fielding) وپاكنهال (l'honoarble Pakenhal) والبارون ستروتزك (Strutzeck) وحليلة اللورد فولي (Lady Foly) ولنوكس (Lady Lenox) والكونتس ايدا أهن أهن (C^tesse Ida Hahn Hahn) واللورد مونسال (le très-honorable W. G. Monsell) واللورد نيجال كندي (Nigel Kennedy) وحليلة اللورد كافنديش (Cavendish) وفيلدين (Lady Fielding) والكونتس دي پيپ (C^tesse de Pepe) والكونتس دي ارندل والكونتس سري (C^tesse d'Arundel et Surrey)...»(١)

هذا وان شمس الهدى والايمان لم تسطع في سماء انكلترة وحدها بل عمَّت منافعها لاسيَّا على اثر الحركة الاكسفورديَّة العالم الانكليزي كلَّهُ. وتأييدًا لقولنا هذا هاك ما

(١) راجع L'abbé de Madaune : *la Renaissance du catholicisme en Angleterre* p. 387. — Thurau d'Angin : *La renaissance catholique en Anglelerre*. T. I p. 321 etc ...

نشره الكاتب الاديب وليم لونغ في التيمس الكاثوليكي في ١١ شباط سنة ١٩٠٠ (١) :

« ليعلم مواطنونا انّ الحبر الاعظم لهُ في بلادنا من الجنود الكاثوليكيين ١٣,٠٠٠,٠٠٠ لهم النفوذ العظيم في الشؤون الاداريّة والملكيّة حتى انهُ لا تُسَنّ سنّة ولا يجري كبير امر في أمّتنا بدون رضاهم وقبولهم. لعمر الحق ان نموّ الكثلكة في الولايات البريطانيّة بلاد الحرّيّة والعدالة لهو اعجوبة من اعاجيب الدنيا

« فقبيا (كما قلنا) ١٣,٠٠٠,٠٠٠ من الكاثوليكيين و٦,٠٠٠ كنيسة و٩٣ اسقفا و١٢,٣١٧ كاهنا و٣,٢٤٨ اخا راهبا (Frères) و٢٥,٧٠٠ راهبة و١,٠٠٠ مدرسة كبرى و٤,٠٠٠ مدرسة صغرى و١,٢٠٠ جمعيّة احسان. والاهتداءات قائمة الان فيها على قدم وساق. ففي السنة المنصرمة دخل كنيستنا ٤٠,٠٠٠ بروتستانيّ وهذه السنة تبشّرنا بأثمار غزيرة نادرة. فليكن هذا الكلام لذوي الاصلاح عبرة وبصيرة... »

وهنا يجدر بنا ان نلحق بما تقدّم من احوال الكاثوليك في انكلترة وتوابعها ما جرى للكثلكة في الولايات المتّحدة في اميركة اذ تُعَدّ من العالم الانكليزيّ من حيث اصلها ولغتها. ولقد تصفّحتُ جدولًا في حالة الكثلكة رسمهُ هوزرمان (Hauserman, 9, rue de Bagneux, Paris) فعثرت على ما يلي: كاثوليكو الولايات في الاقاليم الاربعة عشر ٩,٩٠٧,٤١٢ الجمعيات الخيريّة ٥٣٤. الياتم ٢٥١. المدارس ١١,٥٧١. المدارس الاكليريكيّة ١٠٢ الطلاب ٥٦,٧٨٤ رسالات ذات مدارس ٣,٥٨١ الكهنة القانونيون ٢,٧٥٦ الكهنة العالميون ٨,٣٣٨ المطارنة ٨٠ رؤساء الاساقفة ١٢. فلي الكاتبين عهدة ما كتباهُ. — والكردينال موران في خطبته المذكورة قيّد في الولايات المتحدة عدد الكاثوليكيين فكان سنة ١٨٩٩: ١٢ مليونًا

ولكنت تقدّر هذا التقدّم قدرهُ لو علمت انهُ كان يوجد في اميركة في بدء الجيل التاسع عشر اسقف واحد لا غير ونحو ٣٠ كاهنا و ٤٠٠٠٠ كاثوليكي لا غير (٢)

---

١) W. S. Long 508 Vine-Street, Camden, New Jersey, America

٢) The catholic Times, 22 September 1899. Lecture given by cardinl Moran, Sydney

الصلوات القانونية في الكنيسة الكلدانية

لحضرة الفاضل القس ادّي صليبا ابرهينا الكلدانيّ

ان كتب الفرض الكلدانيّ خمسة وهي : المزامير. وقدام وَدباتر. والكَزّا. والكشكول. والحُذْر. وهذه الكتُب الخمسة مقسومة بتنسيق عجيب على مدار السنة بغاية النظام والموافقة بعضها يوميّ وبعضها دوريّ

١ً ان كتاب المزامير الذي هو اساس الفرض وركنهُ مقسوم لدى السريان الشرقيين الى عشرين تسبحة يدعونها هلاّلا (ܗܘ̈ܠܠܐ) كلّ منها يشمل مرميثين او اكثر والمرميث (ܡܪܡܝܬܐ) قسم من الصلاة يتركّب من ثلاثة او اربعة مزامير. وقد وُضع في بدء كل مرميث صلاة مختصرة وبعد الآيتين الأُولَيين من كل مزمور قانون يضاهي النافذة (oraison jaculatoire) وقد أُلحق بالمزامير هلاّل آخر يتضمّن ثلاثة راميث. فالمرميث الاوَّل يحوي تسبحة موسى المسطورة في سفر الخروج (ف ١٥) وتسبحة اشعيا (ف ٤٢). والثاني يشمل قسماً من تسبحة موسى المكتوبة في سفر التثنية (ف ٣٢). والثالث يتضمّن تتمّة هذه التسبحة

والكنيسة الكلدانيّة تتلو الآن كتاب المزامير كلّهُ اكثر من مرّة في الاسبوع. لانّها في بداءة صلاة كلّ مساء من الاسبوع تتلو مرميثَين. وفي صلاة كل ليل من الاسبوع ثلاثة هلاّلات وفي صلاة كل صبح عشرة مزامير بنوع انها تتلو في كل يوم من أيّام الاسبوع تقريباً خمسين مزموراً. وفي الصيام الكبير تزيد عدد المزامير اذ انها في صلاة كل يوم منهُ تتلو اكثر من ثمانين مزموراً. وكانت تتلو قبلاً اكثر من ذلك فانّها في بداءة صلاة كل سحر من الاسبوع كانت تصلي سبعة هلاّلات. وفي كلّ يوم من أيّام الصوم الكبير اثني عشر او ثلاثة عشر هلاّلا

٢ً وكتاب قدام ودباتر (ܩܕܡ ܘܕܒܬܪ) (قَبل وبعد) يحوي الصلوات القانونيّة اليومية الاسبوعيّة التي تقال مساءً وصباحاً ما عدا الصيام الكبير. فالتي تقال مساءً مقسومة الى قسمين. القسم الاوّل منها يسمَّى (ܩܕܡܝܐ) (الاولى). والقسم الثاني (ܐܚܪܝܐ) (الاخيرة). فاذا كانت الصلوة في يوم الاحد تبتدئ بالكود (الخورس) الاول فذلك

الاسبوع كلهُ يسمَّى (ܩܕܡܝܐ) فيُتلى فيهِ القسم الأوَّل. وان كان ابتداء الصلاة في الكرود الثاني وهو يُسمَّى ايضاً بالكرود الاسفل فذلك الاسبوع يُسمَّى ܐܚܪܝܐ فيقال فيهِ القسم الاخير. وتختم صلاة الصبح والمساء بتلاوة قالٍ من قالات الشهداء (ܩܠܐ ܕܣܗܕܐ) وهي اغاني تسبيحيَّةٌ لاكرام الشهداء تاليف القديس ماروثا اسقف ميافارقين

٣ والكزَّا (ܓܙܐ الكنز) يحوي جميع صلوات الاعياد الغير المنتقلة. وهو مُستعمل الآن برمتهِ عند النساطرة. اما الكلدان الكاثوليك فوضعوا لهم كتاباً آخر وهو ترتيب البطريرك يوسف الثاني (١٧١٢) والطقوس الموجودة فيهِ مأخوذة من الكزَّا الكبير ومنها بقلم يوسف الثاني. والصلوات والعونيثات والتسابيح التي يحويها الكزَّا منسَّقة بتنسيق عجيب لكنها طويلة كثيراً فانهم كانوا يحيون ليالي الاعياد بالصلوات والترنيات. والكزَّا يبتدئ من عيد الميلاد وينتهي بعيد الصليب

٤ والكشكول يحوي صلوات الليل من الأيام الاشحيمَّة وهي على مدار السنة كلها إلا الصوم الكبير. وفيهِ عونيثة (ܥܘܢܝܬܐ أنشودة) مخصَّصة لصلاة كلّ رمش على مدار السنة والكشكول لفظة فارسيَّة معناها قدَح الكدّي يجمع فيهِ رزقهُ. وقيل لهُ ذلك لان جميع الصلوات والعونيثات المُدرجة فيهِ مستعارة من كتابَي الحذر والكزَّا

٥ وكتاب الحذر يتضمَّن فرض آحاد السنة كلها مع جميع الاعياد المنتقلة والصيام الكبير. ومعنى الحذر (ܚܘܕܪܐ) المدار لأنهُ يحوي الصلوات التي تُتلى في مدار السنة. وهو عينهُ عند النساطرة وعند الكاثوليك مع هذا الفرق وهو ان هؤلاء الآخرين حذفوا كل ما يُشتمّ منهُ ريح الهرطقة

وان الحذر في الجيل السابع نُظّمت ورتبت جميع اجزائهِ في الدير الاعلى بجانب الموصل وهو المسمَّى دير مار جبرائيل ومار ابراهيم وهما من تلاميذ مار اوجين القديس. وكان الذي نظمهُ ورتبهُ مار يشوعياب الحديابي الذي تسنَّم كرسي البطريركيَّة سنة ٦٥٠ وتوفي سنة ٦٦٠. وهو لم يستحدثهُ وليس ايضاً في اصلهِ وجوهريتهِ من تصانيف النساطرة بل عريق في قدميتهِ. فانهُ كان منذ الجيل الرابع تامّاً كاملاً في جميع اجزائهِ الجوهريَّة. وقد حتم الآباء في الجمع الذي عقدهُ مار اسحق جاثليق المدائن ومار ماروثا اسقف ميافارقين سنة ٤١٠ بأن تتخذ جميع كنائس الشرق فرض كنيسة المدائن

امَّا نظام الحذر فبديع عجيب. ولله درّ الذين نسقوهُ. فانهم بدقَّة عقل صائب

وذكاء متوقد والحامات سموية وحركات تقوية واثارات قدسية سعوا بنظمه وتقسيمه الى سابوعات ممتازة اي الى اسابيع السبّار والميلاد والى سابوع الدنح والصوم والقيامة والرسل والقيظ وايليا والصليب والى اسابيع تقديس البيعة. فاسابيع السبّار اربعة. والسبار (ܣܘܒܪܐ) معناهُ البشارة. فجميع العونيثات والمداريش التي تقال في هذه الاسابيع الاربعة تذكّرنا ما قيل من النبوات على ربّنا يسوع المسيح والامور التي صارت قبل ميلاده وحين ميلاده مثل التبشير بميلاد يوحنا المعمدان والتبشير بتجسد الكلمة الالهيّة. وهاك اول عونيثة يبتدئ بها الفرض الكلداني وهي تقال في مساء اول احد من السبار(١): «يا راعي اسرائيل انصت (مزمور٧٩: ٢) اني اسبح كلام الله (٥٥: ٥) ذاك الذي موجود قبل العالمين (٥٦: ٢٠). ليس من الملائكة اخذ السنة بل اخذ من زرع ابراهيم. واتى بنعمته الى ناسوتنا لكي ينقذ جنسنا من الضلال»

ثم يأتي عيد الميلاد ويليهِ اسبوعان يسميان باسبوعي الميلاد (الميلاد) وفيها تضع الكنيسة قدام اعيننا كل ما جرى من ميلاد يسوع الى حين عماده مثل مجيء المجوس وسجودهم له عزّ وجلّ وقتل الاطفال وختانة المسيح وتطهير امهِ النقيّة وغير ذلك. وتنشد الكنيسة في مساء اول احد من الميلاد: «اعظّمك يا ربي الملك (مزمور ١٤٤: ١) نطير اسمك يا الله كذلك تسبحك (٤٧: ١١) اللهمَّ من يضارعك (٨٢: ٢) ذاك الذي هو صورة الله الذي لا يُرى (قولسايس ١: ١٥) يا ربّ الكلّ مع انك في صورة الله اخذت بمحبتك صورة عبد ولم تخلُ من الوهيتك ولا كذبت بناسوتك بل انك في كلتا الطبيعتين ابن واحد حقًّا دون ريب. في العلى من الآب دون امّ وفي العمق من الامّ دون اب. انما بذلك أنبأ الانبياء وبذلك وعظ الرسل وكذلك علّم الآباء في الكنيسة حفظنا الله ورحمنا بصلواتهم وايمانهم»

ثم ان الصلوات والتراتيل التي تقال في سابوع الدنح تحوي ما صنعهُ يسوع في مدّة السنين الثلاث الاخيرة من حياته ولاسيما الاسرار التي تمّت في نهر الاردن. واليك شذرة منها: «اذكر بيعتك التي اقتنيتها منذ القديم (مزمور ٧٣: ٢). أخزيت الامم ونصبتها (٧٩: ٩). لكي تُعرف على يد الكنيسة حكمة الله المتنوعة (افسس ٣:

---

١) اننا لم نأتِ هنا الّا بذكر العونيثات التي تقال في الآحاد الاولى من السابوع

١٠) قد اوحيتَ قدماً يا مخلصنا اقانيم الوهيتك المجيدة الى كنيستك التي أتحدت بك بالمحبة والايمان الممنوحَين بالمعمودَية. وبيدها اوضحت الى الحشود الروحانيّة معرفة سرّ الثالوث التامّة. احفظ يا ربّ بنعمتك الايمان الذي اودعتها اياهُ بشارتك مُديمًا اياهُ بلا وصمة »

ثم يأتي سابوع الصوم الكبير. فمنذ ابتدائه الى احد الشمانين تتكلم فيه الكنيسة بالهام علويّ عن صيام ربّنا يسوع المسيح وغلبته وانتصاره على الشيطان وعن محاسن الصوم وفضله. ثم منذ احد الشمانين الى العيد الكبير تخاطبنا بنوع عجيب عن دخول المسيح الى اورشليم بالعزّ وفصحه وآلامه المرّة وموته الزؤام وسرّ الفداء. وهاك عونيثة تتغنّى بها في الاثنين الاول منهُ: « مبارك الآتي باسم الربّ (مزمور ١١٧: ٢٦) مجيئاً بجيءُ شاديًا (١٢٥: ٦) كي يثبت ارجلنا في طريق السلام. ها ان الصوم البهي اتانا نظير ملك. فلنزيّن كل واحد منا نفسهُ كما تتزيّن المدينة. اذ نطهّر القلوب من دنس الآثام كما تطهَّر الاسواق. ونقيم المثل الرائق رئيساً على الافكار كعلى الحشود. وعوض المشاهد والملاعب نُقِرّ العيون بالكتب الروحية التقويّة. لنصدح كلّنا بالعفة والقداسة قائلين: يا رب ارحمنا »

وفي سابوع القيامة تنشدنا قيامةُ المجيدة المعجبة وانتصاره على الموت... ومنذ عيد السلاّق فصاعدًا تقرّأ علينا صعوده الى السماء ممجّدًا مظفرًا. فنتغنّى بهذا النشيد في العيد الكبير: « فرحٌ في كل الارض (مزمور ٤٧: ٣) لتمتلئ الارض كلها من مجده امين ثم امين (٧١: ١٩). ها اني ابشركم بفرح عظيم يكون لكل العالم (لوقا ٢: ١٠). قد امتلأت كل المسكونة فرحاً ورجاءً وخلاصاً. فان الضلال قد امتدَّها زمنًا مديدًا. امّا الآن فقد صادفت مدبّرًا صالحاً. اذ ان الراعي السماوي ردَّ الاغنام الضالّة وان القاتل (ابليس) يشتكي ويقول: قد سُحِقتُ وتلاشت كل قوّة سلطاني. فان المسيح قد قام من بين الاموات وأضاء العالم باسره»

ثم لما كان بعد صعود ربّنا يسوع المسيح الى السماء قد حلّ روح القدس على الحواريين وصيَّرهم أناساً جددًا فامتلأت عقولهم من الحكمة السمويّة وتفرقوا في البلدان ونشروا الانجيل في كل قطر ومصر فالكنيسة في سابوع الرسل تكلّمنا بنوع عجيب عن حلول الروح القدس عليهم وانتشارهم في كلّ العالم وانذارهم الامم واليهود

بالتعاليم الخلاصيَّة والمحن التي اصابتهم والمعجزات التي اقترحوها وتنصّر الامم على ايديهم الى غير ذلك. وهناك عونيثة تتولها في مساء احد القنطقوسطي وهو اوّل احد من سابوع الرسل: «اعظِّمك يا الهي وملكي (مز ١٤٤: ١). اضاءت بروحك المسكونة (٩٦: ٤). لانارة الجالسين في الظلمة وفي ظلال الموت (اشعيا ٩: ١). روح الرأفة والرحمة. قد بزغ في المسكونة الروح البارقليط. ولاجل ذلك امتلأ كل العالم من النعمة. فها ان خطايا الناس تُترك وتُغفر لهم في المعموديَّة وافنوم المحتاجون رجاء صالحاً وامتلأ الاغبياء حكمةً عظيمة وشفي المرضى. وتَحيَّى الاموات الحيوة. فلذلك نسجد لك غير مرتابين ايُّها الروح القدس مع الاب والابن ملتمسين اليك ان تخلّص انفسنا»

ثم لمَّا كان الذين يؤمنون بالمسيح مضطرّين ان يتنزهوا من كثافة الانسان العتيق فينقطعوا الى التوبة سائلين الله الصفح والغفران فَرَضَ سابوع القيظ ليس هو الَّا منهاجاً للتوبة يجملنا ان نتوغّل في التأمّل بعواقبنا الاخيرة فنذكر ما ارتكبنا من السيئات وتندم عليها من صميم الفؤاد طالبين منهُ عزَّ وجلَّ الرحمة والمغفرة وهو رحوم غفور. وهذا السابوع يُسمَّى ايضاً بسابوع ܥܢܝܢܝ (اغناني) وذلك لان مطلع عونيث الجمعة الاولى منهُ يبتدئ بقوله: «اغناني يا رب بدموع التوبة. فتصلي فيهِ منسحقين على خطايانا قائلين: «يا رب لا توبخني برجزك (مزمور ٦: ٢) صرتُ مثل الاناء التالف (١٣:٣٠) حياتي الى الجحيم دنت (٤:٨٧). لماذا يُعطَى النورُ الاشقياء والحيوة الذين هم في مرارة النفس (ايوب ٣: ٢٠) يا رب الارباب اغفر لي. يا رب اني لم استند لا من حياة هذا العالم من جراء خطاياي الكثيرة ولا من حياة العالم العتيد من جراء الارزار التي استظهرتُ عليَّ. وبلاه اني ساقف في يوم الدينونة وعلى وجهي الخزي وانا مرتجف الفرائص ومتنهّد الصعداء الى ابد الابدين دون ان افوز بالنجاة. فبمراحمك يا ربّ استغيث فاصفح لي خطاياي في ظهورك وارحمني»

ثم يأتي سابوع ايلَّ وما يقال فيه من الصلوات والعونيثات والتسبيحات يصوّر قدام اعيننا كيف انهُ بعد انتشار الانجيل في كل العالم ورجوع الامم الى الدين الحق في زمانٍ مخفيٍّ عنَّا لا يعرفهُ الَّا الله وحدهُ يصير انتهاء العالم فالدينونة العامة وقبيل ذلك يُرسل ايليَّا النبيُّ وبغيرته ودجزمه يلاشي جميع حيل الدجَّال ابن الهلاك فيخزيه ويخجله وتظهر حينئذٍ بجد عظيم لا يوصف علامةُ ابن الانسان وهي صليبهُ الذي افتدانا عليهِ فيبيد

الدجّال ويهلكهُ. فلاجل هذا سُمّي هذا السابوع بسابوع الیأ وفيهِ امرت الكنيسة ان يعيَّد عيد الصليب المقدس. واليك عونيثة تقولها الكنيسة في مساء الاحد الاوَّل منهُ: "يقوم الله ويبدّد جميع اعدائهِ (مزمور ٦٧: ٢) لا تبلّغ الشرّير يا ربّ مُناهُ (١٣٩: ٩) ليرتدّ اثمهُ على رأسهِ (٧: ١٧) لان الاثيم تمخَّض وحبل زوراً وولد غشًّا (٧: ١٥). من هذا نعلم انهُ الزمان الاخير. حينئذٍ يظهر ذلك الاثيم الذي يبيده الربّ بروح فمهِ (٢ تس ٢: ٨). ان القاتل (ابليس) يترقّع خفيَ الزمان الاخير لكي يُلقي شبكتهُ فيصيد الناس. والفخاخ التي استعملها قدماً لسقوط آدم بها يحتال لاولادهِ باذلاً السعي في ان يجذب اليهِ العالم بزيّ السلام والامان. ولو امكنهُ لاغوى المنتخبين ايضاً. لكنهُ ليس فقط لا تكمل ارادتهُ بل ان سلطانهُ ايضاً يتلاشى فيُدان قدام جميع الخلائق ويُجزم عليهِ قضاء مخيف. وهذا الحكم تصدره انت يا ربّ المدعو آدم الثاني. ان جميع الذين احتذوا بآثار المكّار يخجلون ويفضحون. هكذا تدين يا ربّ الكلّ جميع الذين يكفرون بك. فالمجد لك.»

اخيرًا بعد ان يكون ربّنا يسوع المسيح في انتهاء العالم قد خرج كجبار مقتدر بكامل عزّة ربوبيتهِ ومجدهِ وقد انتصر على الخطأة انتصارًا قاطعًا فالقاهم جميعًا في نار جهنّم ليصعد الى السماء بالصالحين الطاهرين بطلعة منيرة ذات عزّة جليلة فعروسهُ الكنيسة المقدَّسة (اعني القديسين والمؤمنين الصادقين) تخرج لاستقبالهِ باصوات التهليل مرنّمة ترانيم السرور ومتغنية باناشيد التهانئ والحبور وهذه عروسها الصادق يأخذها ويصعدها الى السماء ويُدخلها الخدر ويجلسها عن يمينه فتكون جالسةً معهُ على مائدة واحدة ويكون مأكلها ومشربها مأكلهُ تعالى ومشربهُ فتفوز بسعادةٍ تامّة ثابتة لا تُنزع منها اصلاً وهي لا تبرح تبجّلهُ تعالى وتمجّدهُ رافعةً اصوات الابتهاج والتهليل مع طغمات الملائكة القديسين. فما نتلوه في اسابيع تقديس البيعة الاربعة من الصلوات والداريش والتسابيح يبيّن لنا كل هذا بنوع عجيب بديع. ولاجل ذلك قد امرت الكنيسة اولادها ان في مساء اوَّل احد من تقديس البيعة (وتسمَّى هذه الاسابيع الدخول ايضاً) يدخلون من الرواق الى الهيكل بطوافٍ وزيّاح عظيمَين حاملين الصليب والانجيل مع بخور وشموع وهم يرتلون تراتيل السرور ويسبّحون تسابيح الحبور. وهاك فقرة ممّا ينشدون: «لندخل الى مساكنهِ ولنسجد عند موطئ قدميهِ (مزمور ١٣١: ٧) ادخلوا

ابوابهُ بالاعـتراف ودياره بالتسبيح (٩٩: ٤) ندخل هيكلك بالاعتراف ونمنح لك مجدًا في قدسك. ولتهتف افواهنا قائلة: مبارك عزّ الرب لان سماء السموات ممتلئة منك والملائكة تسجد لك في العلى. فانك انقذت كنيستك من نير الضلال وجعلتها ينبوعًا للثناء ودعوتها الى خدر الملكوت المملوّ سعادةً لا توصف. فافرحي وتهللي بعرسكِ ايتهـا البيعة العروس المزيَّنة. واجتذبي بالعروس الحقّ يسوع ملك المجد وربّ جميع المخلوقات. ارفعي ايتها الابواب رؤوسكِ قدّام صليب المسيح فيدخل معهُ حشدنا ايضًا فنسجد للابن الذي خلصنا وفي الهيكل المقدس نترنم تعظيمًا لشأنهِ قائلين: عظم صليبك وحكمهُ سامٍ عالٍ. اتينا بيتك يا ربّ لنستظلّ بظلهِ فنستريح »

وتنشد ايضًا في الاحد الرابع من تقديس البيعة وهو الاخير من السنة: « يا جميع الامم صفّقوا بالايادي (مزمور ٤٦: ٢) صفّقي باليدين وسبّحي ايتها الكنيسة الملكة. وافرحي واجذلي يا بنت النور. فانّ كل مجدكِ يأتيكِ من بيت ابيكِ وانتِ مزينة بالعفّة يا ايتها الممتلئة رونقًا ونضارة. ان شفتَي العروس الذي خطبكِ متّسمتان بسمة الرحمة والرأفة. وقد اعتزّ بهاؤهُ ومجدهُ على المُتَن الذين كانوا يبغضونكِ. ووضع تعالى على رأسكِ اكليل مجدٍ وهو الذي ضفرهُ ورصّعهُ بالحجارة الكريمة. وبنى اسواركِ باللؤلؤ وجعـل ابوابكِ بلّورًا وحيطانكِ يشبًا وثيابكِ ذهبًا خالصًا كما تنبّأ عنكِ النبيّ بالروح. فان جميع الملوك مع تيجانهم احنوا رؤوسهم وسجدوا لعـاقد التيجان وماسح الاحبار ألا وهو العروس المجيد الذي خطبكِ لهُ. فادّى لهُ المجد بدلًا من بنت صهيون التي بخست مجدهُ وسجدت للعجل. فاسجدي انتِ لهُ ومجدّي واعترفي وقولي: المجد لك

« تقول البيعة للمدعوّين: ان الله دعاني الى وليمتهِ فأدخل الخدر معهُ. ان العرس السماوي ملأني من رائحتـهِ الذكيّة. فها ان قديسيهِ يعانقونني انهُ مسح راسي بدهنهِ المطيَّب وارْوى قلبي من كأسـهِ الحيّ... يسوع لي وانا لهُ. سُرّ بي قلبسني ولبستهُ. وقبّلني من قُبلات فمهِ وساقني الى خدر الملكوت »

هذا هو ترتيب الفرض الكلداني وهو لعمري أفضل ارثٍ تسلّمناهُ من اولئـك الجهابذة المتلألئين في الاجيال الاولى من آبائنا القديسين أخصّهم مار شمعون برصباعي والحكيم الفارسيّ ومار يعقوب النصيبينيّ ومار افرام ومار ماروثا وغيرهم كثيرين من الذين عاشوا قبلهم وبعدهم لاحتوائهِ باسلوب عجيب بديع على حيـاة الكنيسة

ومسلكها منذ خلقة العالم الى انتهائهِ لا بل من الازل الى ابد الابدين وفيهِ مع ذلك من ضروب البديع ورقة المعاني وسموّها ما يفوق كل الوصف. ومما يمتاز بهِ انهُ في بداءة كل عونيّة وصلاة وباعوثة آية او اكثر مأخوذة من الكتاب المقدّس تطابقها تلك العونيّة. ويحتوي ايضًا على ما يحرّك التقوى ويرفع قوى النفس الى محبة الله وتعظيمهِ من العواطف الخشوعيَّة والآداب الانجيلية والاحكام الالهيَّة فضلًا عن انهُ يتضمَّن معظم عقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة الرسوليَّة مثل الخطيئة الاصليَّة وحرّيَّة ارادة الانسان وضرورة نعمة المسيح واسرار العهد الجديد والصلوات لاجل الموتى واستعمال الصور في الكنائس والاكرام الواجب لذخائر القديسين والالتجاء اليهم وتنعمهم الحالي برؤية الله في السماء وفضل مريم البتول على جميع القديسين ودوام عذابات جهنَّم واستحالة جوهر الخبز والخمر الى جسد ودم المسيح وسلطان الكهنة على حلّ الخطايا وضرورة الاعتراف بالجنايات قدّام الكهنة ورئاسة الحبر الروماني على الكنيسة كلها الى غير ذلك ممَّا يزيدنا تعلُّقًا بهذه الطقوس القديمة التي تجري من مناهلها صافيةً حتى أيامنا فتروي نفوسنا وتحييها الى الحياة الابديَّة .

مؤلف كتاب دفع الهمّ

للاب لويس معلوف اليسوعي

ان سمح لي حضرة الخوري الفاضل الاب قسطنطين الباشا (الذي أغتنم هذه الفرصة لأسدي اليهِ شكري عن نشره هذا الكتاب النفيس) وحضرة الاب لويس شيخو الذي اتحفنا في المشرق (٥: ٣٣٧) بمعلومات ضافية عن اليا النصيبيني وتآليفه العظيمة القدر اتينا بذكر امر اظن فيهِ بعض الشان لتقرير مَن من ابن العبري ام من اليا هو مؤلف كتاب « المعونة على دفع الهمّ »

ورد في المشرق(ص٣٤١): « امَّا قول حضرة القس قسطنطين الباشا ان النسخة الواتيكانية المحفوظة تحت عدد ١٨٠ ترتقي الى نحو القرن الثاني عشر فلو صحّ لازال كل شبهة... » لان في ذلك يكون كما لا يخفى دليل لا ريب من ورائهِ ان المولف هو اليا الذي ولد سنة ٩٧٥ م

والحال اني اطلعت من بضعة ايام في المكتبة البُدلانية في اكسفُرْد (Marsh 44) على نسخة من كتاب دفع الهم اظنها اقدم نسخ هذا الكتاب امتازت بامرين (احدهما) انها صرَّحت باسم مؤلف الكتاب ونسبتهُ لالاَّ مطران نصيبين. وقد ورد في صدر المقدَّمة:

« بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ نستعين تمّم بالخير »

(ثم بحبر احمر): « نبتدئ بمعونة الله تعالى ونكتب كتاب المعونة على دفع الهم تأليف مار اليَّا مطران نصيبين قدّس الله روحه ونوّر ضريحه »

« لما كانت الهموم بقدر الهموم والفرح والسرور بقدر النعم كانت همومك ادام الله توفيقك وافرة... »

و(الآخر) ان النسخة ترتقي الى القرن الحادي عشر سنة ١٠٥٥ م قبل وفاة ابن العبري (١٢٨٠) بمئتين وخمس وعشرين سنة. وذلك ما اثبتهُ مؤلف فهرست المكتبة المذكورة استنادًا على ما ورد في خاتمة الكتاب كما يلي:

« فرغ من نسخه اضعف العباد راجي عفو ربّه يوم المعاد اصلان بن الرومي الحلبي عفا الله عنه وعن والديه... وذلك في سنة الف وخمسة (كذا) وخمسين مسيحية نهار السبت في اواخر شهر أيّار المبارك »

وهو على ظني ما حمل البعض من العلماء على ترك القول بان ابن العبري مؤلف الكتاب وعلى أخذهم بنسبتهِ الى مطران نصيبين

فان اكتفينا بتاريخ نسخة أكسفرد برهانًا على ان الكتاب هو لالاَّ فما السرّ يا ترى في كون البعض من ارباب الاطلاع على المخطوطات العربية نسبوا الكتاب لابن العبري وكيف تعليل ما اوردهُ حضرة الأب لويس شيخو في المشرق (ص٣٤١) من الاعتبارات المميلة الى هذا القول

ألحسن يا ترى في عين العالمين الذين خاضا في هذا المبحث والذين استميحهما عفوًا عن تطفلي على مساعدتهما في فك هذا المشكل ان نقول ان اليَّا هو مؤلف الكتاب الذي بقيت منهُ النسخ المحفوظة في المكاتب وان مقصده اوَّل الامر كان كما ذكر في مقدمته ان يجعل مؤلَّفهُ على ثلاثة اجزاء لم ينجز منها سوى الاوَّل وهو ما وصل الينا وان ابن العبري اتى على هذا الكتاب وزاد عليهِ ما ينطبق على مقصد اليَّا

النصيبيني فاخذ القوم ينسبون الكتاب اليهِ ويذكرونه في عداد تآليفه من باب ادخال الكل في حكم الاكثر ؟ فكرٌ خطر فرأيت عرضه علَّهُ يصادف عند ارباب القول قبولًا

وان شئتَ المقابلة بين النسخة البُدْلانيَّة وما سواها فدونك في آخر الباب الثامن ما يوازي القطعة المذكورة من هذا الكتاب في المشرق (ص٣٤٢) نرويه بحرفهِ الواحد:

وقيل العاقل لا يحاول شيئًا من اموره الَّا بالمواطاة من ذوي الراي فلا تسرع فيها بمشاورتهم وتحتوي بعزمهم. وقيل اعلى المستشار الاجتهاد بنفسه يدل في الصدق والنصيحة. وقيل من كتم للطبيب مرضه طال دواه ومن استبداء برايه فقد تعرض الخطاء بجهده وقبل لا ظهيرًا اوفق من المشاورة. وقيل اذا كنت مستشيرًا فعليك بذي الراي والنصيحة فانهُ لا يكتفي براي من لا ينصح ولا نصيحة لمن لا عقل لهُ. وقيل المشورة في الامر قبل وقوعه من اسباب الظفر. وقيل من اعجل الاشياء عقوبة رجلًا استشير بهِ وكان من رأي المشير الطمانية ومن رأي المشار التغرير بهِ. وقيل لا تستشير جايعًا ولا سخيرًا ولا خايفًا ولا كثير بغير امرك فان من فرط هذه الاحوال عادت عنهُ. وقيل من استشار بك في امر فقد اشرك فيهِ. وقيل من استبداء برايه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها. وقيل لا روية لعجول ولا راحة للحسود ولا مودة للحقود ولا تدبير لمن يظهر شرّه ولا مروة للكذوب ولا صلاح مع سوء النية. وقيل الطبيب الحاذق اذا مرض يحتاج الى طبيبًا يعالجهُ والعاقل اذا وقع امر يحتاج الى حازم يستشير به. وقيل انفع الاشياء العاقل مشاورتهُ العلماء والتجربة بالمودة واضرّ ما هو الكسل واتباع الهواء. وقال عبد الله بن مروان: لأن اخطأت واستشير احبُّ اليَّ من اصيب واستبداء برأيي. وقال عبد الله الحارثي فشاورهُ في اخيهِ ان يوليهُ القضاء فشار عليهِ بهِ ثم اجتمع عبد الله مع ابا بكر فقال لهُ ابا بكر: اترى لي القضى سبيل. فقال: لا. فعرف زياد الملك فقال لعبد الله: يا هذا انكرت عليَّ اولي ابا بكر القضي واشرت عليهِ ان لا يلي. قال: ما ناقصت نفسي يا ايها الامير لكن استشرت بي فنصحتك واستشار بي فنصحتهُ

ومن هذا ترى ان نسخة اصلان ابن الروميّ مشحونة بالاغلاط وانها تقوم برهانًا جديدًا على ما قالهُ حضرة الاب لويس شيخو «كم تختلف الروايات وكم يصعب الوقوف على الصحيح منها»

(حاشية للاب لويس شيخو) انَّنا نشكر حضرة الاب لويس معلوف على نبذتهِ هذه المستملحة ولكنَّنا لا نزال في شكٍّ عن صاحب كتاب دفع الهمّ وذلك لاسبابٍ: (اوَّلها) انَّنا لم نجد حتَّى الآن كتابًا عربيًا لقدماء النصارى مؤرخًا بتاريخ الميلاد قبل القرن الرابع عشر وانَّما الكتُب النصرانية قبل هذا العهد هي مؤرخة بتأريخ الشهداء او تاريخ اليونان او تاريخ العالم. ومن ثمَّ نظنّ انَّ تاريخ نسخة أكسفرد مصحَّف او مغلوط او مزوَّر. (ثانيها) أنَّهُ قد اخذنا العجب من كثرة اغلاط هذه النسخة مع قِدم عهدها ونرى عادةً النسخ القديمة القريبة العهد لمؤلفيها اصحّ

من سواها واضبط . (ثالثها) اننا في ريب من اسم الناسخ « اصلان بن الرُّومي » وهو لا يشبه في شيء اسماء النصارى. فنطلب الى حضرة الكاتب ان يبحث عن نسخة أُخرى او يزيدنا علماً بهذه النسخة وورقها وخطّها وغير ذلك مماً ينفي الرّيب ويميط قناع الشكّ وله الشكر سلفاً

سلوان الاسرى في ايوان كسرى

لحضرة المحقّق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (تابع لما سبق)

(د) « ايوان كسرى او طاق كسرى » الاسم الاوَّل هو اسمهُ عند العرب في سابق الزمان. والاسم الثاني هو اسمهُ في هذا اليوم وقبلهُ ايضاً. وقد ذكرنا في كلامنا عن طَيسَفون كيفيَّة بناء الايوان وعلى يد مَن وقد ذكر الثعالبي في كتاب ثمار القلوب كلاماً مشبعاً عن هذا الايوان. وكما ان الكتاب غير مطبوعٍ أحببنا نقل كلامهِ. قال:

« ايوان كسرى. يُضرب بهِ المثل للبناء الرفيع العجيب الصنعة المتناهي الحَصانة ولانهُ من عجائب ابنية الدنيا ومن احسن آثار الملوك وهوَ بالمدائن (اي بطيسفون) من بغداد على مرحلةٍ. بناهُ كسرى ابرويز في نيفٍ وعشرين سنة. وتأنق في تأسيسهِ واتقانهِ وتحسينهِ. فلمّا تمَّ كان من خصائصهِ الثماني عشرة التي لم يُعطَها ملكٌ قبلهُ. وقيل بناهُ انوشروان. (والصحيح في كل ذلك ما اسلفنا ذكرهُ في طيسفون) وهو الذي بنى الباب ايضاً. وانشدني المرزبانيّ لنفسهِ:

قلتُ لمّا رأيتهُ في قصورٍ مشرفاتِ الابواب والايوانِ
حَبّكَ كسرى كسرى الملوك انو م شروان باني الابواب والايوانِ
ايَّ شكرٍ ترجوهُ مني اذا لم تقضِ لي حاجتي وتمدل شاني

وذكر ابن قُتَيبة في كتاب المعارف انَّ بانيهُ سابور ذو الاكتاف. ومن وصفهِ: ان طولهُ مائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً في سمك مائة ذراع (وكذا قال ايضاً الابشيهيّ (٢: ١٢٧) وهو متَّخذ من الآجرّ الكبار والجصّ (قلتُ: وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (١: ٤٢٥) ان طول الآجرَّة نحو ذراعٍ في عرض اقلّ من شبر) وثخن الازَج خمس آجرّات وطول الشُّرَف خمسة عشر ذراعاً (وزاد على ذلك الاصطخريّ في مسالك الممالك قائلاً: وليس في مباني الاجرّ ما هو أبهى ولا اتمُّ حسناً منهُ) ولمّا بنى

المنصور مدينة السلام أحب ان ينقض ايوان كسرى ويبني بنقضه الابنية فاستشار خالد ابن برمك في ذلك فنهاهُ عن نقضهِ فقال: « يا امير المؤمنين انهُ آية الاسلام. فانهُ اذا رآهُ الناس علموا أنَّ مَن هذا بناؤهُ لا يزيل أمرَهُ الَّا الانبياء. وهو مع هذا مُصلَّى عليّ ابن ابي طالب رضي الله عنهُ والمؤونة في نقضهِ وهدمهِ اكثر من الانفاق بهِ » . فقال المنصور: « يا خالد أبيتَ الَّا ميلًا الى العجم » . وأمر بهدمهِ . فهُدِمَت منهُ ثُلمَةٌ فبلغ المصرف عليها مالًا كثيرًا . فأمر بالاضراب عن هدمهِ . وقال: « يا خالد قد صرنا الى رأيك » . قال: « انا الآن أُشير بهدمهِ » . قال: « فكيف » . قال: « لئلّا يتحدّث الناس انك عجزت عن هدم ما بناهُ غيرك » . فتركهُ على حالهِ . فكان المأمون يقول: قد حبَّب اليَّ هذا الكلام ان لا ابني الَّا بناء جليلًا يصعب هدمهُ . قال الجاحظ: « قال قاسم التمَّار: رأيتُ ايوان كسرى كانَّما فرغت منهُ الايدي أقلَّ من امس » . قال المبرّد: « تذاكر حذيفةُ وسليمان أمرَ الدنيا . فقال سليمان: ومن اعجب ما تذاكرنا صعودُ غنَّابِر العامري سريرَ كسرى . وكان اعرابيًّا من عامر يرعى شُوَيهات لهُ . فاذا كان الليلُ صيَّرها الى عَرْصَة ايوان كسرى وفي العرصة سرير رخام فتصعد غُنَيماتُهُ الى السرير وكان كسرى كثيرًا ما يجلس عليه » . وممَّن ضرب المثل بايوان كسرى ابن الرومي وغيرهُ . وقال البحتري من قصيدة :

وكأنَّ الايوان من عجب الصنْعة م حورٌ جَنْبَنَ أرْعَنَ موسى

كذا وفي رواية اصح :

حوبٌ في جَنْبِ أرْعَنَ جِلْسِ

لم يُعِبْهُ إنْ بُزَّ مِنْ بُسُط الديباج م واستُلَّ من ستور الدِمَقْس
مُشْمَخِرٌّ تُعْلَى لهُ شُرُفَاتٌ رُفِعَتْ في رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ
ليس يُدْرَى أَصُنْعُ إنسٍ لِجِنٍّ سكنوهُ ام صُنْعُ جِنٍّ لإنسِ
غير أنّي اراهُ يشهدُ ان لَمْ يَكُ بانيهِ في المُلُوكِ بِنِكْسِ

انتهى كلام الثعالبي . (قلتُ) : وممَّن ذكرَ الايوان ابن الحاجب (في معجم البلدان لياقوت ١ : ٤٢٦) وهذه ابياتُهُ :

يا من بناهُ بشاهقِ البنيانِ أنَسِيتَ صُنْعَ الدهر بالإيوانِ
هَذِي المصانعُ والدساكرُ والبنا وقصور كِسْرَانًا انوشروانِ
كتب اللَّيالي في ذَرَاها أسطُرًا بيدِ البلى وانامل الحدثانِ

ان المرادات والخطوب اذا سطت أودت بكل موثَّقِ الأركان

والايوان ليس اسم القصر كما توهَّمهُ صاحب الهلال في رواية «فتاة غسَّان» بل هو اسم الايوان فقط كما يدل لفظهُ على معناه. امَّا القصر فكان يُسمَّى بالقصر الابيض او ابيض المدائن (راجع كتاب فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٦٢) او ابيض كسرى (اطلب ابن الاثير ٢: ١٩٧ و ١٩٩). وكان بين الايوان ودجلة بساتين غنَّاء وحدائق اشجارُها غيناء حتى اذا وصلتَ الى النهر وقفتَ على المسنَّاة وانت في دهش وعجب ممَّا تراه. واذا اطلقتَ طائر بصرك الحائر يحوم حول حيطان القصر فلا يمكنُ ان يقع على موضع الَّا وزينتهُ رسمٌ او حفرٌ او كتابة (راجع حسن المحاضرة ١: ٣ والمقريزي ١: ٣١). وعلى جانبي الباب الاكبر المطلّ على المدينة قائمتان عليهما تمثالان كبيران متماثلان متواجهان بصورة ثور أشوري كبير مجنَّح وبراس انسان طويل اللحية وعلى مفرقهِ تاجٌ ملكيٌّ (عن مزآثي الافرنج في وصفهم لايوان كسرى). واذا اردت دخول الايوان مررت على ارض تُدهشك بعجيب ما تطلَّاهُ من الصور. فان الطريق مزيَّنةٌ بانواع الحصباء الملوَّنة تمثّل مشاهدَ ومعاركَ ومذابحَ وفيها انواعُ الناس بازياء مختلفة ومن امم شتَّى. وهناك فرسان وركبان وملوك بتيجان على مراكب وعجلات ومن حولهم بعض من حاشيتهم. وامامهم اساورة يذلّلون على خيلهم طالبين صيد الاسود ومتأثّرين حُمرَ الوحش التي كانت يومئذٍ في العراق وما بين النهرين. وكل هذه الصور متقنة الوضع ومحكمة الصنع كأنَّها من خَلْق الطبيعة. ومن اعظم الطرق التي كانت تتشعَّب حول القصر وداخله النَّهجُ المؤدّي من باب القصر الاعظم الى الايوان يصطفُّ فيه عادةً حرسُ كسرى قائمين حولهُ سماطين عند دخوله قصره. وفي زاويةٍ من زوايا الحديقة بناء فخم تُقتَصر فيه الثيلة الداجنة والسباع الضرَّاءة

واذا رافقتَ كسرى الى الايوان ودخلت الازَجَ منهُ وجدت الايوان المذكور مبنيًّا على ساباطٍ سقفهُ واحدٌ كما يتحقَّقهُ من يرى اثرهُ الى هذا اليوم. وفي داخل الايوان عمدٌ من الرخام المنقوش وفي صدره عرش كسرى مرصَّع بالجواهر والحجارة الكريمة يجلس عليه الملك عند عقدهِ المجالس ومن حوله جماعات من الناس على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم وخططهم على نمطٍ عجيب وكانت طبقات خاصّته ثلاثًا: الاولى الاساورة وابناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحوٍ من عشرة اذرع وهم

بطانة الملك وندماؤه ومحدّثوه من اهل الشرف والعلم. وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة اذرع من الاولى وهم وجوه المرازبة وملوك الكون (ويُروى: الكور) والقيمون بباب الملك والمرازبة وهم الأصبهبذية ممّن كانت مملكة الكون (الكور) في ايامه. والطبقة الثالثة كانت رتبتها على قدر عشرة اذرع من حدّ مرتبة الطبقة الثانية. واهل هذه الطبقة المضحكون واهل البطالة والهزل. غير انهُ لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيسُ الاصل ولا وضيع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول او القصر ولا مؤوفٌ ولا مرميٌّ بأْبنة ولا ذي صناعة دنيئة كابن حائك او حجّام ولو كان يعلم الغيب او حوى كلّ العلوم مثلاً (عن مروج الذهب ١: ٢٨٤ وفي طبعة باريس ٢: ١٥٣—١٥٨).

ومن فوق راس الملك قبّة عجيبة قد تُوِّلت فيها نفائس الحجارة والمعادن تنزيلاً عجيباً وفي داخلها مِروحة من ريش النعام وعلى الملك ستارة مُوكَّل بها رجلٌ من ابناء الاساورة يقال لهُ « خُرَّم باش » فاذا غاب هذا الرجل وُكِّل به آخر من ابناء الاساورة وذوي التحصيل وسُمّي بهذا الاسم وهذا الاسم عامٌّ لمن رُتّب في هذه الرتبة ووقف هذا الموقف وتفسير ذلك: « كُنْ فرِحاً ومسروراً » (عن المسعودي ١: ٣٠٧). ويُرى على حيطان الايوان رسومٌ ملوَّنة وزخارف مختلفة وصورٌ تمثّل آلهة جبابرة وسباعاً ضارية كاسرة ومشاهدَ حروبٍ جديدة وغابرة (عن القزويني ص ٣٠٤ من طبعة كوتنكن) ومن هذه التصاوير والنقوش صورة انوشروان يُرمّم الايوان وغيره ممن تقدَّمهُ في سالف الزمان من ملوك آل ساسان أو من سلاطين دُولٍ أخرى رفيعة الشأن (عن ياقوت ١: ٤٢٦ بتصرُّفٍ في البَسْط). وفي أعلى الحائط ووسطهِ وأسفلهِ أبياتٌ شعريّة باللغة الفَهْلَويّة والدَّرِيّة والفارسيّة والخوزيّة ومكتوبة باحرفٍ سريانيّة وهي الحروف التي كان يكتُب بها الفرسُ قبل الاسلام. وفي سقف الايوان تصاويرُ مختلفة تمثّل هيئة السماء بنجومها وكواكبها وافلاكها وبروجها مُنزَّلة في قبّة زرقاء لازوَرديّة بالحجارة الكريمة والذهب الابريز والفضّة الخالصة وكنتَ اذا رقيتَ الى سطح الايوان رأيت شراريف مزخرفة بانواع الصور المحفورة فيها حفراً دقيقاً متقناً كأنّ انهار الحياة تتدفّق فيها تدفّقاً ولا ينقصها الّا التنفّس لتُشاطرك الوجود وما يلحقهُ من توابعهِ. وهذه الشراريفُ تُطِلُّ على نواحي القصر الاربع وطول كل شرافةٍ على ما قالهُ الابشيهيّ

(١٢٧:٢) خمسة عشر ذراعاً . ولمّا اراد الخليفة نقض هذا القصر ابتدأ بهدم شرافةٍ واحدةٍ وحسب ما انفق عليها فوجد ان نقضها يتكلّف بقدر بنائها (عنهُ وفي تلك الصفحة)

وباب الايوان كبيرٌ قد نُقش على عتبتهِ العليا صورة الشمس مذهّبة وكانت إلهةَ الفُرس في أيام مجوسيَّتهم . والى كلّ من جانبي الباب تمثال اسد كانهُ يحاول المشي وعيناهُ تقدحان شرارًا والاسدان منحوتان من الرخام محلّيان بالذهب الابريز وفي موضع العينَيْن منهما زُمُرُّدتان زرقاوان بديعتا الشكل . واما عتبتهُ السُّفلى فمتّخذةٌ من الرخام الماتع (ملخَّص بتصرُّف عن جورج سميث وورلنصن وجسّني وغيرهم من مؤرخي الافرنج وآثاريّيهم)

وخلاصة القول في هذا الشان . انّ منظر هذا الايوان العجيب الاتقان . هو من غريب ما جاءَت بهِ عقول ابناء الزمان . حتى انهُ حيَّر الاذهان . في كل عصر وآن . وعدّتهُ العامّة من تلك البنيان . التي هي من صنع الجان . لا من الانسان . كما رواهُ ابن خلدون في مقدَّمتهِ (ص ٣٠١ من طبعة بيروت ١٨٨٦)

هذا ما كان عليهِ الايوان قبل ظهور الاسلام ولمّا فتح العرب طيسفون أحرقوا جانباً عظيماً من هذا القصر البديع فاخرجوا منهُ من الذهب على ما نقلهُ الابشيهي الف الف دينار (١٢٧:٢) ثم تصرَّف بما بقي منهُ الخليفةُ المنصور على ما اسلفناهُ في صدر هذه اللمعة بحيث انهُ لم يبقَ منهُ الى هذا اليوم الّا ما يشهد بصدق وجود مثل هذا الاثر العظيم الجليل في غابر الزمان

الى هنا انتهى ما نقلناهُ عن كتبة العرب بخصوص ما جاء عن هذه المدن الشهيرة التي اصبحت اليوم في خبر كان . امّا الافرنج فلم يعرفوها ولم يتكلموا عنها الّا في هذه القرون المتأخرة وقد اصبحت اليوم كتبهم اعزّ من انف الاسد . الّا ان يدي قد وقعت على بعض ما كتبهُ هؤلاء الاجانب فأُسرع في تعريبهِ واتحاف اصحاب المشرق بهِ ليطّلعوا على آراء اولئك الكتبة في تلك السنين وكيفية تدوين الافرنج لكل ما يسمونهُ ويرونهُ فيروونهُ على علاته

واوّل من نبَّه افكار الاوربيين على هذه الاطلال الدارسة هو بياترو دلّا ڤالّي (Pietro della Valle) وهذا كلامهُ : « وبعد ان سرنا في البلد نصف ساعة وجدنا ضالّتنا

تبيَّا وهي أخربة بناء قديم يعتبرهُ جهلة اليهود هيكل بخت نصّر الذي وضع فيه تمثال الذهب وأمر الناس بالسجود لهُ على ما هو مذكور في التنزيل العزيز. وهو في الظاهر لا يخلو من شبه من جهة الموطن لان الكتاب يقول: أُقيم التمثال في سهل وهو وان لم يكن قريباً من بابل فهو على الاقل في قُطر بابل الذي ربَّما كان ممتدًا الى هنا. غير اني وجدتُ امرًا غريبًا ان تُرى رسومهُ باقية الى عهدنا هذا مع قدم ذلك البناء المشهور وعلمي انهُ لم يُبنَ من الحجارة. فسألتُ حينئذٍ المسلمين وعليهم اعتمد في مثل هذه الظروف اذ انهم اوسع علماً من اليهود فقالوا لي ان هذا البناء يُسمَّى « طاق كسرى » اي رواق قيصر (كذا بحرفهِ). وعلى قولهم انهُ بُني في الموطن الذي كانت فيه طيسفون تلك المدينة التي رفع دعائمها ملوك الفرس من الدولة الاخيرة وكانوا قد حذوا حذو الرومانيين في تسمية ملوكهم « بالقياصرة » (كذا. والكاتب في وهم ظاهر والاصح ان ملوك الفرس كانوا يسمون بالاكاسرة وملوك الروم بالقياصرة كما هو مشهور) وعلمتُ ان ذلك الطلل كان معروفاً في التاريخ وفي كتب البلدان الفارسية. وسوف ابذل ما في الطاقة للوصول اليها والحصول عليها ». قال فردينان هيفر (Ferd. Hoefer) بعد ايراد هذا النص: « ومن ثم يجوز لنا ان نستنتج هذه النتيجة الظاهرة وهي ان مدينة طيسفون كانت في ذلك الموطن في زمان حروب ماركنا العظام لملوك الفرس او الملوك الاشكانيين وجميع كتب التاريخ التي تتكلم عن هذه الحروب تذكر هذه المدينة الذائعة الاسم. وعلى ما تقدَّم ازيد هذه النتيجة الثانية وهي انَّ سلوقية كانت في ذلك المكان ايضاً لان اسطرابون يشهد شهادةً بينة ان طيسفون ليست الَّا ربضًا لسلوقية وانَّ بانيها من الملوك الاشكانيين وقد شيدوها في نيَّة ان لا يزاحموا تلك المدينة بما في بلاطهم من الخدم والحشم والكثرة ما يلزم لهم من التنازل لايواء جيش الاسكيثيين الذين كانوا يتبعونهم دائماً حينما كانوا يأتون ليشتُوا في هذه الاقطار نظرًا لحرّ أديمها لأنهم كانوا يصيّفون في جرجان او في همدان. وان هذا الربض ازداد سكانهُ مع مرور الزمان واتسع نطاقهُ لاقامة أُناس فيه وكان عددهم ايَّ عددٍ حتى انَّ هذا الربض اصبح مدينة زهراء »

وزاد المؤلف قائلاً: وعليه فان كان ما اوردناهُ لا يعدو طور الحقيقة فمن المؤكد المثبت الراهن ان سلوقية وطيسفون كانتا مدينتين متجاورتين وحواليهما مدن أُخرى

اصغر منهما ولهذا سمّى العرب هذه البقعة المشتملة على العاصمتين وعلى تلك المدن الصغيرة «المدائن» كأنّ هاتين المدينتين ولواحقهما اعتبرت لتجاورهنّ مدينةً واحدةً فسمّيت باسمٍ واحدٍ مجموع اشارةً الى ما فيها من التجمّع والتضامّ. وفي هذا الصدد قال أغثياس (Agathias وهو من مؤرخي اليونان في القرن السادس) متكلماً عن كسرى: ان جيوش الكروب داهمتهُ ووساوس النفس ساورتهُ لقنوطٍ وقعَ في صدرهِ اثر اندحار عسكرهِ على مقربة من قطرهِ فنقلهُ اليهِ خدَمُهُ على اياديهم قبل دَبرهِ. ومن هذا يتّضح ان هذا الكاتب قد لُبِس عليهِ امر هاتين المدينتين حتى انهُ عدّهما شيئاً واحدًا. وما عدا هذا الدليل فان سفر القديسين الروماني يذكر في اليوم ٢١ من نيسان عيد القديس سمعان اسقف طيسفون وسلوقية معاً. وهذا ما يدعم مقالنا ويؤيّد رأينا. وما يدعوهُ عرب يومنا هذا بالمدائن قد تُرجم بطيسفون في كتاب بلدان فارسيّ هو في المنزلة الاولى عند اهالي العجم. وصاحبهُ كاتبٌ بارع على ما نُقل اليَّ ولعلَّ سبب تسمية المدينتين بطيسفون وحدها لأنها هذه كانت قد عفَت آثارَ الاولى وبقيت هذه حيّةً بعد موت تلك وكما ان هاتين المدينتين كانتا متجاورتين وكانتا معتبرتين بناء واحدًا اعتُبرت سلوقية من بلاد ما بين النهرين او الجزيرة على ما رأيتهُ مؤيدًا في كتاب مختصر في تخطيط البلدان. واتصوَّر انها كانت على الضفّة اليمنى نحو شَطر دجلة في غربهِ الاقصى أمّا طيسفون فبعكس ذلك كانت واقعة على الضفّة اليُسرى ونحو شطرهِ الشرقي الذي أُقيم فيهِ ايوان كسرى» اه (البقية للآتي)

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشاء للقلقشنديّ

عني بنشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (تابع لما سبق ص ٢٧٨)

الفصل الثالث عشر

في هندسة الحروف ومعرفة اعتبار صحتها ونحن نذكرها على ترتيب الحروف

الألف قال الوزير ابو علي ابن مقلة: وهي شَكل مركَّب من خطّ منتصب يجب ان يكون مستقيماً غير مائل الى استلقاء ولا انكباب. (قال) وليست مناسبةً لحرفٍ في طول ولا قصر

قال الشيخ شرف الدين محمد ابن الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام: وهي قاعدة الحروف المفردة وباقي الحروف متفرّعة عنها ومنسوبة اليها . ..

ثم الذي ذكرهُ صاحب رسائل اخوان الصفا في رسالة الموسيقى عند ذكر حروف المعجم استطرادًا: ان مساحتها في الطول تكون ثماني نقط من نقط القلم الذي تُكتَب به ليكون العرض ثمن الطول. والذي ذكرهُ الشيخ شرف الدين محمد ابن الشيخ عزّ الدين ابن عبد السلام انها مقدَّرة بستّ نقط. والذي ذكرهُ زين الدين شعبان الاثاري في ألفيَّته: انها مقدّرة بسبع نقط فما زاد على ذلك كان زائدًا عن مقدارها وما نقص كان ناقصًا عنهُ. قال ابن عبد السلام: وتكون النقطة مربَّعة . (قال) ويكون ابتداؤها بنقطة وآخرها بشظيَّة. قال ابن مقلة: واعتبارها ان تخطّ الى جانبها ثلث الفات او اربع الفات فتجد فضاء ما بينهما متساويًا. قال ابن عبد السلام: وتكون تلك الالفات المخطوطة الى جانبها مناسبات لها في الطول متساويات الرؤوس والاذناب

الباء قال ابن مقلة: هي شكل مركب من خطَّين منتصب ومنسطح. (قال) ونسبتهُ الى الألف بالمساواة. قال ابن عبد السلام: ويكون المنتصب طولهُ بمقدار ثلث الفر خطِّه. (قال) ويبدأ اولهُ بنقطة وكذلك آخرهُ ان كان مرسلًا فان كان معطوفًا فليكن بسنّ القلم اليسرى. والمستدير فيه مثل المنتصب. ولكن يكون المنتصب ارجح من المستدير بقدر يسير. وتكون السنَّة المبتدأ بها مترجحة في الطول على آخرها المعطوف. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها ان تزيد في احد سنَّيها الفًا فتصير لاما. وزاد ابن عبد السلام في ايضاحه فقال: ان تزيد المنتصب تكملة الف بحيث يكون طول جملته كطول المنسطح لا اطول ولا اقصر. (ثم قال) وهذا الحرف وما يجري مجراه من يمنة الى يسرة وكل ما كان كذلك فينبغي ان يُمال القلم فيه نحو اليسرة قليلًا. ولا يخفى انَّ التاء والثاء في معنى الباء في ذلك جميعه

الجيم قال ابن مقلة: هي شكل مركَّب من خطَّين منكب ونصف دائرة وقطرها مساوٍ للالف. وابدل ابن عبد السلام المنكب بالمنسطح. ثم قال: والمنسطح كثلثي الف من خطه وربَّما يكون انقص بنقطة. (قال) ومساحة نصف الدائرة كالف ونصف الف من قلم الكتابة ورأسها يكون من يسرة الى يمنة على استقامة تقريبًا. وكلما كان كذلك ينبغي ان يمال برأس القلم فيه الى اليمنة قليلًا يبدأ باوَّله بشظيَّة

بالسنّ اليمنى من القلم وآخر تعريجها بالسنّ اليسرى منهُ. قال ابن مقلة: واعتبار صحّتها ان تخط عن يمينها وشمالها خطّين فلا ينقص عنها شيئاً يسيراً ولا يخرج. وقال ابن عبد السلام: واعتبار صحة رأسها ان تكتبهُ من يُسرةٍ الى يمنةٍ على استقامة تقريباً. (قال) وحسنها ان تخفضها من الجهة اليمنى قليلاً وميزانها ان تسطّر سطراً ويؤخذ عليهِ من يسرة الى يمنة مقدار ثلثي الف من قلم الكتابة بحيث لا يرتفع اوّلها عن آخرها الّا يسيراً ولا آخرها عن اوّلها بل تكون منسبكة فيهِ واعتبار نصف الدائرة ان تقابلهُ بنصف آخر فيصير دائرة. (ثم قال) وليقصد ان يجعل رأس الجيم سواء آخذاً ابتداء الدائرة في جسد ثلث الراس منسبكاً فيهِ بحيث يكون الثلث ضلعاً واحداً. ولا يخفى انّ الحاء والخاء في معنى الجيم في جميع ما تقدّم

الدّال قال ابن مقلة: هي شكل مركّب من خطين منكبّ ومنسطح مجموعهما مساوٍ للالف. وجعل ابن عبد السلام منها شكلاً آخر مركّباً من ثلاث خطوط منكبّ ومنسطح ومستدير (وكانهُ يريد الدال المجموعة). ثم قال: فالمنكبّ طولهُ بمقدار نصف الف خطهِ لا غير وكذلك المنسطح وابتداء اوّلها بنقطة وآخرها ان كان مرسلاً بقطّة وان كان معطوفاً بسن القلم اليسرى. قال ابن مقلة: واعتبار صحّتها ان تصل طرفيها بخط فتجد مثلّثاً متساوي الاضلاع. ولا يخفى ان الذال في معنى ما تقدّم

الرّاء قال ابن مقلة: وهي شكل مركّب من خطّ مقوّس هو ربع الدائرة التي قطرها الف وفي رأس سنّةٍ مقدّرة في الفكر. قال ابن عبد السلام: وتبدأ اوّلها بنقطة وآخرها ان كان مرسلاً فبسنّ القلم اليمنى وان كان معطوفاً فبسنهِ اليسرى. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها ان يصلها بمثلها فتصير نصف دائرة. ولا يخفى ان الزاي في معناها

السين قال ابن مقلة: وهو شكل مركّب من خمسة خطوط منتصب ومقوّس ومنتصب ومقوّس ثم منتصب. قال ابن عبد السلام: ومساحة راس السين من اول سنّ منها الى ثالث سن كثلثي الف خطهِ. (قال) ومساحة قوسها ان كان معطوفاً مساحة الف من خطهِ وان كان مرسلاً مساحة الفين من خطهِ وطول كل سنّةٍ مثل سدس الف خطهِ تبدأ اوّلها بنقطة امّا آخرها فان كان مرسلاً فبسنّ القلم اليمنى وان كان معطوفاً فبسنهِ اليسرى. (قال) واذا ابتدأت بالسنّة وطلعت الى الثانية فخذ الى الثالثة من اعلاها ليصير بياض من اسفلها فانك متى اخذت راس السنّة من اسفلها صار اسفلها

مسطحاً ويكون البياض بين السنَّات على السويَّة في البياض. قال ابن مقلة: واعتبار صحّتها يبني صحة راسها ان تمرّ باعلاها واسفلها خطين فلا يخرج عنها شيء ولا ينقص. ولا يخفى ان حكم الشين ايضاً كذلك

الصاد قال ابن مقلة: هي شكل مركّب من ثلاثة خطوط ،مقوّس ومنسطح ومقوّس. قال ابن عبد السلام: وابتداؤهُ بنقطة امّا انتهاؤهُ فان كان مرسلاً فبسنّ القلم اليمنى وان كان معطوفاً فبسنه اليسرى. (قال) ومساحة راس الصاد في الطول كثلثي الف خطه ومساحة قوسها ان كان معطوفاً مساحة الف الكتابة وان كان مرسلاً فمساحة النون من قلم خطه. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها ان تجعلها مربعة فتصير متساوية الزوايا في المقدار. وقال ابن عبد السلام: اعتبار صحتها ان يكون اعلاها كاء معلقة والمنسطح كباء والقوس كنون ويكون رأس النون مشرفاً على آخرها. ولا يخفى ان الضاد كذلك

الطاء قال ابن عبد السلام: هو شكل مركّب من ثلاثة خطوط منتصب ومقوّس ومنسطح يبدأ اوّله بنقطة وآخرهُ بنقطة. (قال) ومساحة صنو الطاء في الطول كثلثي الف خطه. قال ابن مقلة: واعتبارها كاعتبار.. (بياض في الاصل). وقال ابن عبد السلام: اعتبار صحتها ان يكون المنتصب كالف من خطه في الانتصاب والطول والمقوّس كراء معلقة والمنسطح كباء مرسلة. ولا يخفى ان حكم الظاء في ذلك كالطاء.

العين قال ابن مقلة: وهو شكل مركب من خطين مقوّس ومنسطح احدهما نصف الدائرة. وقال ابن عبد السلام: هي شكل مركّب من ثلثة خطوط مقوّس ومنكب ومنسطح تبدأ اوّلها بنقطة وآخر تعريجها بسن القلم اليسرى والتعريجة نصف دائرة. ومساحة القوس كالف وثلث من قلم الكتابة. ومساحة الراس في الطول كثلثي الف خطه ويحدَّر من رأسها راس صاد. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها كاعتبار الجيم. وقال ابن عبد السلام: اعتبارها ان تخطّ عن يمينها خطّاً من اعلاها الى منتهى تعريجها فلا يقصر ظهر القوس عن يسارها يسيراً بنقطة تكون سدس الف خطّها لا غير. ولا يخفى ان الغين في الحكم كذلك

الفاء قال ابن مقلة هي: شكل مركّب من اربع خطوط منكب ومستلق ومنتصب ومنسطح. قال ابن عبد السلام: تبدأ اوّلهُ بنقطة وتأخذهُ على سطر الى جهة

اليسار ثم تأخذ المستلقي الى ان تنتهي الى قبالة المنسطح بحيث يصير كالدال المقلوبة ثم تأخذ من حيث انتهيت الى ان تلصق بالمنسطح فيبقى مثلثاً متساوي الاضلاع مساحة ضوئه نقطة بمقدار ثلث الف خطه . ثم ان كان معطوفاً ختمته بسن القلم وان كان مرسلاً فبقطته . قال ابن مقلة : واعتبار صحتها ان تصل بالخط الثاني منها خطاً فيصير مثلثاً قائم الزاوية

القاف قال ابن مقلة : هو شكل مركب من ثلاثة خطوط منكب ومستلق ومقوس . وقال ابن عبد السلام : هو مركب من اربعة خطوط رأسها كرأس القاء سواء بجميع ما تقدم . وإرسالها كالنون على ما سيأتي ذكره . فان كان آخرها معطوفاً فبسن القلم اليسرى وان كان مرسلاً فبسنه اليمنى . (قال) ومساحة ضوء القوس من اوله الى آخره ان كان معطوفاً كألف قلم الكتابة وان كان مرسلاً كالفين . قال ابن مقلة : واعتبار صحتها كاعتبار النون وسيأتي ذكرها

الكاف قال ابن مقلة هو شكل مركب من اربعة خطوط منكب ومنسطح ومنتصب ومنسطح . وقال ابن عبد السلام : وهو مركب من اربعة خطوط مستلق ومنسطح طوله مقدار ثلث الف من قلم الكتابة ومنكب طوله مقدار ثلث الف من خطه ومنسطح طوله مقدار الفين من خطه يفضل منتهى المنسطح ما بين المنسطحين . (قال) ولك ان تزيد الاسفل على راس الكاف بمقدار ثلث الف الكتابة بسبب ما يتصل به فيصير فضاء ما بين ما اتصل باخره الى راس الكاف مثل الفضاء الذي بين المنسطحين . (قال) ولا يجوز ان تكتب مختلسة اذا لم يتصل آخرها بحرف بل اذا كانت آخر كلمة تكتب منتصبة قائمة لا غير وتكتب اذا كانت منتصبة كاللام على ما سيأتي بيانه . (قال) ويبدا اولها بشظية فاذا انتهت الى اتصال رأسها بالمنسطح تشير بتدويرها دون تحديدها . قال ابن مقلة : واعتبار صحتها ان ينفصل منها بألف . قال ابن عبد السلام : يعني مستقيمة ومقلوبة

اللام قال ابن مقلة : هي شكل مركب من خطين منتصب ومنسطح . قال ابن عبد السلام : فالمنتصب الف والمنسطح باء . فان كان معطوفاً فبسن القلم اليسرى وان كان مرسلاً فبقطته . قال ابن مقلة : واعتبار صحتها ان تخرج من اولها الى

آخرها خطاً يماسُّ الطرفين فيصير مثلثاً قائم الزاوية. (قال) ويكتب على الانواع الثلاثة التي تكتب عليها الباء

الميم قال ابن مقلة: هي شكل مركب من اربعة خطوط منكبّ ومستلق ومنسطح ومقوّس. وقال ابن عبد السلام: مركب من اربعة خطوط منكب ومقوّس ومستلق بتقويس ومقوّس كالراء. يكون ربع دائرة فان كان آخرهُ منتصباً فهو في الوضع والطول مثل الف من خطهِ غير مائل الى استلقاء ولا انكباب. تبدأ اوّل الميم بشظية وآخرها بشظية. (قال) ومساحة ضوئها مثل ثلث الف خطها وهو مستطيل مستدير كالبيضة منصبّ الى جهة اليمين. قال ابن مقلة: واعتبارها كاعتبار الهاء وسيأتي

النون قال ابن مقلة: هو شكل مركب من خط مقوّس هو نصف الدائرة وفيهِ ستَّة مقدَّرة في الفكر. قال ابن عبد السلام: تبدا اوَّلهُ بنقطة وآخرهُ ان كان مرسلاً فبسنّ القلم اليمنى ومساحة ضوئهِ كالعين من قلم خطهِ. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها ان يوصل بها مثلها فتكون دائرة

الهاء قال ابن مقلة: هي شكل مركب من ثلاثة خطوط منكبّ ومنتصب ومقوّس. وقال ابن عبد السلام: من ثلاثة خطوط منكبّ ومنسطح ومستلق تبدأ اوَّلها بنقطة وآخرها رسالة بسنّ القلم اليمنى طول المنكبّ كطول نصف الف من خطهِ وطول المنسطح كثلث الف من خطهِ وطول المستلقي كنصف الف قلم خطهِ. قال ابن مقلة: واعتبار صحتها ان تجعلها مربعة فتتساوى الزاويتان العلياوان كتساوي الزاويتين السفلاوين. وقال ابن عبد السلام: اعتبار صحتها ان تجعل ردَّتها في ثلثيها فاذا كل وضعها اجعلها مربَّعة فتتساوى الزاويتان العاليتان والزاويتان السافلتان

الواو قال ابن مقلة: هي شكل مركَّب من ثلاثة خطوط مستلق ومنكب ومقوّس. وقال ابن عبد السلام: هي مركبة من اربعة خطوط رأسها كرأس الفاء وتقويسها كالراء وهو ربع دائرة تبدأ اوَّلها بنقطة وآخرها ان كان معطوفاً فبسنّ القلم اليسرى وان كان مرسلاً بسنهِ اليمنى

اللام الف قال ابن عبد السلام: هي شكل مركب من ثلاثة خطوط منكب ومنسطح مستقيم ومستلق. طول المنكب كطول الف من قلم الكتابة

وطول المنسطح كثلثي الف الكتابة وطول المستلقي كطول الف الكتابة تبدأ اوّل المنكب بنقطة وكذلك المستلقي. (قال) واعتبار صحتها ان يكون ثلثها من اسفلها والثلثان من اعلاها وان تخطّ من راس اللام الى راس الألف خطًا مستقيمًا وان تخطّ من اعلاها الى اسفلها خطًّا فلا يقصر عنها ولا يخرج. (قال) ومنها نوع آخر مركب من ثلاثة خطوط منكبٍ ومستديرٍ يقارب النًا ومستلقٍ يقابل طرفهُ طرف المنكب

الياء قال ابن مقلة: هو شكل مركب من ثلاثة خطوط مستلق ومنكبٍ ومقوّس.

قال ابن عبد السلام: وهي كالنون وتبدأ اوّلها بشظية ورأسها كذلك مقلوبة طول المستلقي منها كنصف القد من خطهِ وكذلك المنكب على ما تقدّم في الدال. (قال) والمقوّس ان كان معطوفاً فساحتهُ كالف من خطهِ وآخرهُ يسن القلم اليسرى وان كان مرسلًا فساحتهُ كالنين من خطهِ وآخرهُ بسن القلم اليمنى. (قال) ومنها نوع كأس الكاف المستلقي والمنسطح سواء. قال ابن مقلة: واعتبارها كاعتبار الواو (البقيَّة لعددٍ آخر)

فنّ الفوتوغرافية او التصوير الشمسي

للاب لويس دي انسلم اليسوعي (تابع لما سبق)

في مقالتنا السابقة باشرنا بوصف الطريقة للحصول على الصور السلبيَّة التي بواسطتها تنال الصوَر الايجابيَّة وتُعدَّد فذكرنا ان هذه الصور يُمكن رسمها بشبجيَّة او دون شبجيَّة وتوسَّعنا في وصف الشبجيَّات وما يلحق بها .

وقبل ان ننتقل الى ذكر صور الايجابيَّة رأينا ان نذكر شيئاً عن الادوات الفوتوغرافيَّة وعن التحضيرات الحسَّاسة المتَّخذة في تجهيز الصور السلبيَّة

تقسيم الادوات الفوتوغرافية

انَّ الادوات الفوتوغرافية بلغت اليوم عدداً لا يفي بهِ احصاء. فترى لكل صاحب فنّ اداةً تختلف عن اختها في بعض تركيبها. ولو اردنا وصف الادوات الشائعة حتى الآن لطال بنا الحديث دون ان نجدي القارئ نفعًا. وانَّنا نقول اجمالاً انَّ هذه الادوات على ضربين ضربٌ منها يشمل ادوات المعامل وادوات السياحة والضرب الآخر يختصُّ بالادوات اليدويَّة التي شاع استعمالها منذ سنين قليلة

امَّا الضرب الاول فهو الذي وصفنا سابقًا تركيبهُ واقسامهُ (راجع الشرق ص ٤٦٠ — ٤٦٤). ومن التحسينات الحديثة التي أُجريت فيهِ انهُ جُعل في خزانته المظلمة حاجز ثالث متحرّك توضع فيهِ الشبحية اذا اراد المصوّر تكبير الصورة الاصلية او تصغيرها. وكذلك يُجعل لهذه الادوات مقياس مائي على شكل انبوبة افقيَّة لتكون اداتهُ على سواء التربة. وربَّما كانت الزجاجة الغليظة في هذه الادوات مقسمة على اشكال ترابيع صغيرة سنتمتريَّة وعلى قطبيها تقاسيم ملمتريَّة وهذا ممَّا يساعد المصوّر على رسم صور معلومة الكبر. وكذلك ادوات السيَّاح لا تختلف عن ادوات المعامل الَّا في هيئتها بحيث يمكن ان تطوى وتُضمّ بحجم صغير يسهل نقلهُ في السفر

امَّا الادوات اليدويَّة. فعلى قسمين منها ما هو على شكل علب مكعَّبة ومنها ما هو على صورة نظَّارة مزدوجة (jumelle)

(الادوات الفوتوغرافيَّة المكعَّبة) احسنها ما كان فيها المسدّد في مقدَّمة الاداة. امَّا مؤخَّرها فيُسند الى صدر المصوّر. ويكون السداد والشبحيَّة ثابتين تصونهما اطراف الاداة. ولا بدَّ من المسدّد لتعريف حدود الصورة. والأَولى اتخاذ اطارات ذات ستائر او على شكل الملف (راجع ص ٤٦٠)

وهذه الادوات على ضروب شتَّى فمنها ما يُستعمل للصور الطبيعيَّة فقط ولا يحتاج الى تسديد وتدعى الادوات الذاتيَّة الحركة (appareils automatiques) وهي مبنيَّة على مبدإ المتوقدات المنضمَّة (foyers conjugués). واذا اراد احد استعمالها للصور المتوسطة في القرب فعليهِ بشبحيَّة ذات بورة قصيرة. وكذلك تقرّب صور المرئيَّات باستعمال الحواجز لكنَّ الصورة تفقد شيئًا من جلائها. وعلى كل حال لا يجوز استعمال هذه الادوات للصور القريبة. واحسن ما جُهّز من هذا الصنف اداة كوداك (Kodak) ونظَّارة كربنتيار (la photo - jumelle Carpentier) ومصوّر ريشرد (vérascope Richard) ودراسم بازين ولوروا (stéréocycle de Bazin et Leroy)

ومن هذه الادوات ما يصلح للمسافات البعيدة والقريبة معًا وذلك بان يُجعل لها جهاز خصوصي يجوز مدُّهُ او ضمُّهُ على حسب غاية المصوّر. امَّا قياس المسافات فيعرف بالاختبار بالنظر الى صورة المرئيَّات على الزجاج الغليظ او بالحساب. غير ان الخطأ في كلتا الحالتين ليس بمأمون امَّا لسرعة العمل وامَّا لصعوبة تقدير المسافة ومن هذا القبيل

اداة ايرماجيس (vélocigraphe Aermagis) ونظارة ماكنشتين (jumelle Mackenstein) وزيون (Zion) وجو (Joux) وباليانى (Ballieni)

ومن احسن هذه الادوات اليدوية ما فيه شجيّتان متشابهتان الواحدة تحدّد الصورة التي يريدها المصوّر والثانية لتأثير الصفيحة الحساسة. وهذه الادوات تتدارك كل خلل وتمكّن المصوّر من معرفة الصورة وتسديدها الّا انّها اغلى من سواها وقد جعل البعض بدلًا من احدى الشجيّتين مرآة او موشورًا يعكسان الصورة الخارجيّة على الزجاج الغليظ. ومن هذا الصنف كينغراف المسيو فرنساي (kinégraphe de Mʳ Français) وخزانة المسيو لُمب وديسودي (Lombe et Dessoudeix) وفوتوسكوب روس (photoscope Ross) او نظّارة ديروغ (Derogg)

(الادوات الشبيهة بالنظّارات) هذه الادوات يدعوها الانكليز «الكشّافات» (detectives) تشبيهًا لها بالشرط السرّي المعروف بهذا الاسم الذي يتجسّس الامور دون ان يشعر به احد فكذلك هذه الادوات فان الذي يراها يعدّها نظّارة مزدوجة وهي في الحقيقة اداة فوتوغرافيّة. الّا انّها بدلًا من المدستين قد جُهّز فيها شجيّتان فاذا صوّر المصوّر شيئًا نالَ صورتين لرأى واحد. واذا اظهرتَ هاتين الصورتين وجعلتهما ايجابيّتين تراهما في النظّارة ناتئتين بارزتين على احسن منظر وابهى مثال. واحسن اداة من هذا الشكل نظّارة غورس زَيس (Goërz-Zeiss) بعد اداة كربنتياي (Carpentier)

التحضيرات الحسّاسة

لتحضير الصفائح الحسّاسة طريقتان: الاولى طريقة الغمس وذلك ان تأخذ محلولًا من الكولوديون او الالبومين فتمزج به قلويات من الكلور او البروم او اليود فتمدّها على الصفيحة ثم تغطس هذه الصفائح في محلول ازوتات الفضّة فينتج من هذه العمليات طلاء حسّاس يتركب من كلورور الفضة او برومورها او يودورها وهي كلها اجسام شديدة التأثر بالنور

والطريقة الثانية طريقة الطلاء. وذلك بان تتّخذ املاح الفضة وتمزجها مباشرةً مع الكولوديون او الهلام. ثم تطرح عنها الازوتات القلويّة وتصبّ للحصول على الزجاج او السِلّولويد. واستعمال هلام برومور الفضة قد كثر الآن حتى انسى الطرائق الاخرى.

وانما بقي من تلك الطرائق طريقة استحضار الصفائح بالالبومين لأن صورها شفافة تُرسم على الزجاج وتصلح للفانوس السحري وللنظارات. وكذلك يستعملون طريقة الكولوديون الرطب لما فيه من الدقة والشفوف ولسهولة استحضاره. واليوم تجد الصفائح محضرة تُباع باثمان متهاودة. وقد تستحضر بعض المعامل كل يوم بهلام البرومور نحو ٣٠٠٠٠٠ صفيحة طولها ١٣ سنتيمترًا في عرض ١٨ س. وهُلام البرومور احسن من غيره يعمل فيه النور عملًا سريعًا

وان اردت اظهار الصورة الخفيّة (développement) فعليك باجسام محلّلة (réducteurs) كالحامض العفصي وسولفات الحديد واوكسالات البوطاس والهدروغينون والايكونوجان وربَّما استُعملت اجسام ممانعة (retardateurs) كالحامض الليموني والحامض الفرميك او الطرطري وبرومور البوطاسا في كمِّيات معلومة

وبعد اظهار الصورة ينبغي اثباتها (fixage) لتحليل الاملاح الفضيَّة التي لم يحللها النور ويُتَّخذ لذلك محلول هيبوسولفيت الصودا بنسبة عشرين في المئة. وتُغمس الصفيحة في هذا المحلول الى ان تتوارى منها كلّ آثار كيدة بيضاء حليبيَّة. ثم تُغسل الصفيحة لنزع بقايا هيبوسولفيت الصودا. وهذا الغسل يكون محكمًا ولولا ذلك لتلفت الصورة السلبيَّة. والبعض يتَّخذون محلولًا من الشبّ لتجميد الهلام (الجيلاتين) وصيانته من الفساد. ثم تنشَّف الصفيحة في الهواء بعيدًا عن الغبرة وبدرجة معتدلة من الحرارة لئلا يذوب الهلام. وذلك ربَّما دام من ست ساعات الى ١٢ ساعة. ومن اراد تنشيف الصفائح بسرعة كفاهُ ان يجعلها من خمس دقائق الى عشر في مغطس من الكحول المثيليك (alcool méthylique) في درجة ٩٠ من الحرارة ثم يمسحها

واعلم ان الصور السلبيَّة ربَّما كانت غميقة او باهتة وذلك ينتج عن زيادة العمل او نقصه عند اظهار الصورة فان شئت ان تخفّف شدَّة الوانها اغطسها في حمَّام من بيكلورور الزئبق ثم اجعلها في الماء الممزوج بالامونياك حتى تتساوى الالوان. وبخلاف ذلك ان اردت ان تزيد الالوان نصوعًا فاجعل الصفيحة في مزيج من سيانور البوطاسا والحديد مع هيبوسولفيت الصودا بنسبة خمسة في المئة

(اصلاح الصورة السلبيَّة) ربَّما احتاج المصوّر الى اصلاح الصورة السلبيَّة امَّا لازالة ما لعلَّهُ يكون طرأ على الشبحيَّة من الخلل وامَّا لفساد في الاصل يريد المصوّر

ان يتداركهُ . وتصلح الصورة السلبيَّة بقلم رصاصي رفيع او بفُرْشة خفيفة او بيل او ابرة على مقتضى الحال . ولذلك اطار يُقال لهُ اطار الاصلاح تودع فيهِ الشبحيَّة وبازاء الشبحيَّة مرآة تعكس عليها النور لتعريف امكنة الفساد

(الصفائح الجلديَّة) انَّ صفائح الزجاج تناسب الصور الفوتوغرافيَّة لكونها شفافة الَّا انَّ هذه الصفائح اذا توفَّرت زاد ثقلها وصَعُبَ نقلها فضلًا عن انَّ الزجاج سريع العطب كبير الحجم . فاخترع ارباب الصناعة طريقةً لنزع الصور عن الزجاج وذلك انَّهم طلوا الزجاج بالكولوديون قبل ان يجعلوا فوقهُ الطلاء الحسَّاس فهذا الاستحضار مكنهم من نزع الصورة السلبيَّة فتراها كقشرة من الورق الشفَّاف . وهذه الصفائح الجلديَّة قد اخذ التجَّار يبيعون منها قطعًا مهيَّأةً للتصوير على شكل ملفّ او على صورة صفائح رقيقة يجعلون تحتها أغشية من الورق او الكولوديون ولاسيَّما من السلُّولويد

(الضوء الاحمر) لا ندحة للمصوّر من الضوء الاحمر اذا اراد اظهار الصورة السلبيَّة . اما بقيَّة الانوار فانَّها تحلُّ الاملاح الفضيَّة وتفسد الصورة ولذلك لا يتمُّ اظهار الصورة الَّا في غرفة مقفلة لا ينفذ فيها الَّا النور الاحمر

(الفوتوغرافيَّة الناجزة) هي التي تصوّر الصورة ببرهة من الزمان (على سرعة لمحة العين) وذلك في ايّ حالة وُجدت الصورة وعلى ايّ حركة صدرت منها . مثال ذلك تصوير حصان يركض او طائر يطير او انسان يسقط . واصلح ما يُتَّخذ لهذه التصاوير السريعة صفائح مطليَّة بهلام البرومور وتجهز الادوات بسداد خفيف الحركة جدًّا كسداد ترتو بيكار (Tortow - Bickart) الذي يسمح للمصوّر بان يأخذ الصورة في زمن يساوي ١/٨٠ من الثانية . الَّا انَّ هذه التصاوير السريعة ينقصها شيء من الجلاء والدقَّة

٢ الصورة الايجابية

قلنا (ص ٤٥٩) انَّ التصوير الشمسي يتركب من صورتين سلبيَّة فايجابيَّة . فكلامنا السابق انَّما كان محورهُ على الصورة السلبيَّة فبقي علينا ان نبيّن كيف تنال الصورة الايجابيَّة وتتوفَّر . ولذلك طريقتان طريقة تدعى فوتوغرافيَّة وهي التي يستخدم فيها النور لكل صورة من الصور الايجابيَّة . وطريقة ميكانيكيَّة لا يُلتجأ فيها الى النور

الّا لاصطناع لوحة تُرسم عليها بعدئذٍ الصور بطبعة حجريّة او غيرها

١ (الطريقة الفوتوغرافيّة) اذا اردتَ نقل الصورة السلبيّة الى صورة او صوَر ايجابيّة تجعل فوق الصورة السلبيّة ورقاً حسّاساً مستحضرًا بالاملاح او بالهلام او بزلال البيض وتكون الصور به ادقّ وانعم. واذا جعلت هذا الورق على الصورة السلبيّة ضغطت عليه بضغط بحيث يكون الوجه الحسّاس ماسًّا لتلك الصورة وكلاهما فوق زجاجة اعتياديّة. فتعرض هذه الزجاجة لنور الجوّ فلا يلبث الورق الحسّاس ان يمثّل الصورة السلبيّة ايجابياً اي ان القسم الاسود منها يكون ابيض والعكس بالعكس

وهذه الصورة الايجابيّة تُغسل اولًا مدّة بضع دقائق لتُنزع عنها بقايا نيترات الفضة. ثم يباشر المصوّر بتلوينها (راجع ص ٢٦٧) اي ابدال لونها القرميدي الذي يُسدّه النور بمسحة ارجوانيّة جميلة وذلك بان يجعلها في حمّام من محلول كلورور الذهب ممزوجاً باملاح قلويّة من البورات او الحامض (acétates) او كربونات الصودا الخ. واذا جعلت الصورة في هذا الحمّام فالأولى ان تحركها من كلّ جهاتها. ثم يتبع المصوّر عمله هذا بعمل ثالث وهو اثبات الصورة وينجز الامر بوضعها مدّة تختلف بين عشر دقائق الى ١٥ دقيقة في مركّب من هيبوسلفيت الصودا ليتحلّل ما بقي من كلورور الفضة. وفي آخر الامر تُغسل الصور غسلًا محكماً لازالة آثار الهيبوسلفيت. ولولا هذا الغسل لافسدت الجزوة بقايا هذا العنصر الصورة الايجابيّة

والبعض يعمدون الآن الى املاح البلاتين لينالوا بها صوراً كبيرة الثمن وغاية في الحسن يرسمونها على الورق او على الخشب او على الاقمشة او العاج. وغيرهم يتّخذون املاح الحديد لينالوا بها صوراً زرقاء على ورق ابيض او بيضاء على ازرق. وغيرهم يتّخذون الحامض العفصي لرسم صوَر سوداء على اصل ابيض

امّا طريقة الفحم المنعّم المدقوق فتُحدث صوراً نهايةً في الحسن والاتقان وذلك بان تجعل دقائق الفحم في هلام ممزوج بالبيكرومات (gélatine bichromatée) فتكون الصور المرسومة فيه مختلفة الدقّة على حسب شدّة تأثير النور او خفّته في هذا العنصر الطبيعي توافق الصوَر الاصليّة في كل هيئاتها. وكان العلاّمة بوتفين (Poitevin) اهتدى الى هذه خصائص البيكرومات منذ سنة ١٨٤٥ ولم يزل المصوّرون يحسنون

هذه الطريقة حتى بلّغوها اوج الكمال. منهم المسيو ارتيغ (Artigue) الذي تُعدُّ صوره آيات من الحسن والجمال

٢ (الطرائق الميكانيكيّة) تأخذ لذلك صفائح مصقولة من الحجارة او التوتيا تطليها بطلاء حسَّاس من الحُمّر او الهلام او زلال البيض مع البيكرومات ثمَّ تعرض الصفائح لنور الشمس بتحلّل الاقسام التي لا يصيبها النور في محلّات معلومة ثم تجعل الحجر على هذه الصور بموجب طرائق الطبع الحجريّ (photolitographie) والبعض لا يحتاجون الى نقل الصورة السلبيّة على الحجر بل يجعلون تحت هذه الصورة زجاجة او صفيحة أُخرى معدنيّة يطلونها بطلاء من الهلام الممزوج بالبيكرومات ويعرضونها للنور فالحبر المدّهن (encre grasse) لا يلصق الّا بالاجزاء التي اصابها النور فتجعل الصورة السلبيّة على اداة مطبعيّة وتُرسم عليها الصور كما تطبع اوراق الطبع. وهذا الفنّ يُدعى الطباعة النوريّة (phototypie)

واذا اردت ان تجعل الصورة ناتئة فتنقلها اوَّلًا على التوتيا او معدنٍ آخر بواسطة الحُمّر او الهلام الممزوج بالبيكرومات ثم تعمد الى الحوامض كالحامض النيتريك او غيره فتسكبها على المعدن المذكور وهي تأكل منهُ ما لم يُصب بضوء النور فتحفره. وهذه الطريقة تُدعى فنّ الطباعة الناتئة (impression en relief) . وعلى عكس ذلك لك ان تجعل الصورة نفسها محفورة بخلاف ما يُحدق بها (impression en creux) بحيث تعمل الحوامض في الصورة دون المعدن الذي يكون عادةً من النحاس. وفي كل هذه الفنون يتّخذ الحبر المدّهن وتُستعمل الادوات الطبيعيّة. وكان وودبري (Woodbury) اخترع طريقة أُخرى لحفر الصوَر في المعادن فكان يتّخذ الرصاص ويحفر فيه شبه القالب بحيث اذا مسّهُ الحبر يزيد او ينقص سوادهُ حسب عمق الحفر. وهذه الطريقة كانت تدعى النقش بالنور (photoglyptie). والبعض يتّخذون التوتيا لرسم الخطوط الشديدة الدقّة يحفرونها على هذا المعدن بالعوامل الكيماويّة بعد تصويرها (photozincographie). وكل هذه الفنون تُعرف اليوم باسم عام وهو الطباعة الشمسيّة (héliogravure) او (photogravure) (ستأتي البقيّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٥ الامم البائدة في لبنان

انَّ بين الامم التي سكنت في سالف الازمنة مشارف لبنان واوديتهُ شعوبًا دثر رسمهم وباد اسمهم. ومنهم من خلَّفوا لهم ذكرًا كبني كنعان والفينيقيين والآراميين فاحتلُّوا ربوعهُ وتوالوا في سكناه فصارت سلالتهم كنواة هذه الشجرة الكثيرة الفروع والعنصر الاصلي لسكَّان لبنان الحاليين. وليس في خاطرنا أن ندوّن هنا اساطير هذه الامم فانَّ ذلك يقتضي كتابًا ضخمًا يخرج بنا عمَّا تحرّيناهُ من الخطَّة في الكتابة وانَّما نبحث فقط عن بعض هؤلاء الشعوب الذين يخشا ذكرهم ممَّن قحموا على لبنان فاستوطنوهُ كلَّهُ او قسمًا منهُ ردحًا من الزمان ثم درسوا امَّا بالمهاجرة الى غيره من الاقطار وامَّا بفتوح الفاتحين او باختلاط بعض بقاياهم بالعناصر الواردة الى لبنان

وهذا النظر العمومي مع قصره كافٍ ليحيط قرَّاؤنا علمًا باختلاط القبائل والامم الشتّى الذين يتركب منهم اهل لبنان وفي بحثنا هذا نتتبَّع آثار شعبٍ فشعبٍ على حسب توالي الازمنة وكرور الاجيال

١ الحثيون

لم يكن ذكر الحثيين مستفيضًا بين العلماء قبل اواسط القرن الماضي. وغاية ما كنَّا نعلم من امرهم ما ورد من اخبارهم في الاسفار المقدَّسة. فانَّ ابراهيم الخليل عقد معهم عهدًا ذكرهُ سفر التكوين (ف ٢٣ ع ١٠ — ٢٠ وف ٢٥ ع ١٠). وكذلك قد اتّخذ عيسو بن اسحاق امرأتين من بني حثّ (تك ٣٦ : ٢) ومن نسائهم كان اوريًّا الحثّي زوج بتشابع احد قوَّاد جيوش داود. هذا الى اشارات أُخرى عديدة يلمّح اليها الكتاب الكريم ويؤخذ منها ما كان عليهِ الحثيُّون من عظم الشان وكبر الامر. على ان بعض الكتبة لم يأنفوا من انكار هذه الامور او الارتياب في صحَّتها وذلك لانَّهم

لم يجدوا في غير الاسفار المقدّسة ما يؤيد صدقها. وكانوا يزعمون أنّهُ ليس بين المؤرخين كاتب واحد ذكر الحثّيين

وقد شاء الله ان تشهد الاكتشافات الحديثة لصحّة ما ورد في كتبه المنزلة وهاك بيان الامر: كان بلغ علماء العاديّات منذ اوائل القرن التاسع عشر انّ في مدينة حماة صفائح من الحجارة الضخمة عليها كتابات تشبه بعض الشبه الكتابات الهيروغليفيّة المصريّة وهي تختلف عنهـا. ولم يتسنَّ لاحد من الآثاريين ان يفحصها فحصاً مدققاً الى عام ١٨٧٢. فلمّا تفرّغوا لقراءتها في تلك السنة اخذ الدهش منهم كل مأخذ اذ تحقّقوا انّ الكتابات المذكورة للحثّيين وانْ هي الّا الآثار الاولى التي تنبئ عن دولتهم العظمى التي أتى ذكرها (١. فجعـل العلماء يمعنون النظر في آثار تلك الأمّة ويبحثون عن دفائن أخرى توقفهم على اسرارهم فما كذّبوا ان اكتشفوا بعد زمن قليل عدّة آثار ازالت كل الشبهة فوجدوا العاديّات الحثّيّة متعدّدة في حلب الشهباء. وفي سهل عمق شرقي انطاكية وقريباً من الاسكندرونة وفي مرعش وجرابلس على ضفّة الفرات وفي جهات أخرى من بلاد الاناضول. وكانت هذه العـاديّات امّا كتابات منفردة وامّا كتابات مع بقايا ابنية فخيمة او تماثيـل او نقوش منقورة في الصخور او خواتيم وغير ذلك ممّا اطلع اصحاب النقد على تمدُّن واسع قائم بذاته. فمذ ذاك الحين دخل الحثّيون في نطاق التاريخ ولم يعد احد يشكّ في وجودهم

ثم واصل العلماء ابحاثهم فاعملوا رائد النظر في كتابات المصريّة القديمة والكتابات الاشوريّة لعلّهم يجدون فيها ما يزيدهم علماً بهذا الشعب المجهول. فما كذب ظنّهم بل اطّلعوا على افادات عديدة تبيّنوا منهـا اموراً لا تحصى بخصوص الحثّيين ودولتهم. ولحضرة الاب دي كارا اليسوعي فيهم مقـالات مهمّة نشرها تباعاً في مجلّة الآباء اليسوعيين الايطاليّة «التمدّن الكاثوليكي» احرزت لهُ ذكراً مستفيضاً بين المستشرقين. ومع كل ما كُتب عنهم في هذه السنين الاخيرة لا يزال العلماء يجهلون اشياء كثيرة من اخبارهم واسرار تاريخهم وسيبقى الامر كذلك ريثما لم يسعد الحظّ احداً من ارباب

---

١) راجع كتاب العلّامة رَيْت W. Wright: *the Empire of the Hittites*
ثم الكتاب The city and the land

العلم على قراءة الكتابة الحثيّة التي لا تزال مجهولة. ولا نظن احدًا يقوى على قراءتها حتى يجد كتابةً بلغتين حثيّة وغيرها تكون كمفتاح لها كما جرى لشمبوليون عند ما فكَّ اسرار اللغة المصريّة بواسطة حجر رشيد (راجع المشرق ٣: ٨٩٢)



صورة احد غُزاة الحثّيين (عن اثر قديم)

ولكن من كان يا ترى هؤلاء الحثّيون ما اصلهم ما فصلهم؟ نجيب انَّ الحثّيين ليسوا من اهل الشام وانّما قدموا الى سوريّة من جهات الشمال. امّا عنصرهم فالرأي الشائع حتى الآن انّهم ليسوا من بني سام(١). وممّا ثبت من امرهم انّهم كانوا تولّوا

١) راجع ما كتبهُ في هذا الشان العلّامة مسپرو في تاريخهِ القديم (٢: ٣٥٢) ثم دي لنتشير (De Lantsheere) في كتابهِ عن اصل الحثّيين ولغتهم ثم جنسن في كتابهِ عن الحثّيين والارمن وهو يزعم ان الحثّيين قبيلة ارمنيّة

منذ القرن السادس عشر قبل المسيح البلاد الواقعة في شمالي سوريَّة بين نهرَي عفرين والفرات. ثم تقدَّموا حتى سطوا في القرن الرابع عشر على وادي نهر العاصي وسهل البقاع حتى جنوب فلسطين في جوار مدينة حبرون حيث اجتمع بهم ابراهيم الخليل وبنوهُ من بعده

وكانت في ذلك العهد حاضرة ملكهم في سوريَّة مدينة قدَس التي يظنُّ العلماء انَّ موقعها كان في الحلّ المعروف اليوم باسم تلّ مند عند بحيرة قطينة قريباً من حمص (١ ولا نريد هنا ان نبسط الكلام في الحثّيين وانَّما غايتنا ان نذكر ما كان لهم من العلائق مع لبنان

وان سألتَ هل احتلَّ الحثّيون هذا الجبل ؟ أجبنا انهُ ليس لدينا اثرٌ صريح ينبّئ بهذا الامر ولا غروَ لأنَّهُ كما قلنا سابقًا لا نعلم الَّا النزر القليل من تاريخهم واتّساع دولتهم. ويترجّح كونهم ضبطوا على الاقل جهات لبنان الشماليَّة ولعمري كيف يقبل العقل انَّ امَّة قويَّة رجالها مناوير حروب اتَّخذت لها عاصمة مدينة قدَس لم تمدّ ظلَّ سطوتها على شمالي لبنان وليس بينهما الَّا قاب قوسين اعني سهلًا ضيّقًا فقط. ولو افترضنا انَّ لبنان في زمانهم كان عبارة عن غابات كثيفة كيف اهمل الحثّيون امرهُ وفي وسعهم ان يستثمروا خشب ارزه الفاخر ويستخدموهُ لبانيهم الكبرى وعمائرهم (٢

وعلاوةً على ما تقدَّم لا يمكنّنا ان نسلِّم بانَّ الحثّيين تغاضوا عن احتلال وادي نهر الكبير الذي يفصل لبنان عن جبل النصيريَّة وهم يعلمون انَّ هذا الوادي طريق للأمم الفاتحة وذلك يظهر من تاريخ الفراعنة انفسهم اذ انَّ رعمسيس الثاني لمَّا اتى لقاتلة الحثّيين سارَ الى محاربتهم مارًّا بهذه الطريق

فلا بُدَّ اذن من القول انَّ الحثّيين بعد ان استولوا على البقاع ملكوا ايضًا عطف لبنان الشرقي والمسالك التي تفضي الى لبنان الغربي. وممَّا يؤيد هذا الرأي ان سهول البقاع المتوسطة كانت في تلك الازمنة القاصية عبارة عن مستنقعات مائيَّة لا يمكن

١) راجع مقالتنا المنونة Notes épigraphiques et topographiques sur l'Emésène, p. 46

٢) راجع مقالتنا في ارز لبنان (المشرق ٣: ٦٧٤)

استيطانها فلزم اذن الحثيين ان يسكنوا الجهات المرتفعة فوق تلك البطاح

على أننا نرى دلائل أخرى باقية الى عهدنا تحملنا على ترجيح هذا الامر وهي اسامي عدّة امكنة في سوريّة تُدعى «حتّا» او «كفر حاتا» فارتأى العلماء انّ هذه الاسماء اشارة الى احتلال الحثيين في بلاد الشام لانّ «حتّا» او «ختّا» هو اسم الحثيين نفسهُ. فان صدق هذا القول ولعلَّ فيهِ شيئًا من الصحّة أفليس لنا ان نقول عن القرى الموجودة في لبنان باسم «حتّا» او «كفر حاتا» أنها آثار باقية من زمن الحثيين. بيد انّ هذا القول ليس بقاطع لأنهُ يُمكن اشتقاق «حتّا» من لفظة سريانية «سبا!» التي معناها «الحديثة» او «الجديدة» ويؤيد ذلك انّ قرى لبنانيّة عديدة تدعى ايضًا «حدَث» و«مُحَيدثة» ونظنّ «حتّا» اقرب الى السريانيّة منهما. ولحضرة الخوري الفاضل بطرس شبلي كلام حسن في هذا الشأن اثبتهُ في المجلّة الكتابيّة (Revue biblique, 1901, p. 587)

ومن الاسماء اللبنانيّة الكثيرة الورود اسم «شغور» او «شاغور» كعين شاغور في حمّانا وغيرها. وكذلك «جسر الشغر» او «جسر الشغور» في ولاية حلب. وقد ثبت الآن انّ شاغور كلمة حثيّة الاصل وهي فيها «ساغورة» (١

هذه آثار جمعناها هنا للاستدلال على اقدم الشعوب البائدة في لبنان وهي كما ترى خفيفة الّا انّ أملنا وطيد ان الاكتشافات المستقبلة سوف تطلعنا على ما هو اقوى منها حجّةً وادلّ بيانًا والله على كل شيء عليم (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux arabes publiés en Europe de 1810 à 1885
par V. Chauvin, 6° *fasc.* pp. 204, *Liège* 1902.
قائمة الكتب العربيّة او المتوطة بالعرب التي نشرت بالطبع في اوربّة من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥ (الجزء السادس)

سبق تعريف هذا الكتاب واطراؤهُ مرارًا في الشرق. وهذا القسم السادس ليس

١) راجع مقالة لحضرة الكاتب ا. سنذا تريل كلّيتنا سابقًا كتبها في مجلّة Mitteil. d. vorderosiot Gesellschaft, 1902, p. 19

هو دون اخوته من النفاسة والفوائد. وفيه تتمّة ابحاث المؤلف عن حكايات الف ليلة وليلة وما طرأ على كل قصّة منها من الاختلافات في النسخ المخطوطة والطبعات المتعدّدة وفي الترجمات الى لغات العالَمين ممّا يطلق لسان المديح على جامع هذه التوائم العجيبة في بابها المثبتة بعلم نادر واطّلاع واسع حتى انهُ يكفي الباحث مراجعة هذه القوائم ليعرف كل ما كُتب عن كتاب الف ليلة وليلة بل عن كل قصّة منها حتى المقالات التي خصّصتها المجلّات والجرائد لهذه الاقاصيص المشهورة. ولا غرو اذ كلّل مكتب العلوم الكتابيّة في باريس هذا التأليف واجازهُ بجائزة سنيّة فانّهُ بالحقيقة آية من آيات الجدّ والشغل المتداوم في سبيل المعارف البشريّة ه. ل

AL-MOSTATRAF

traduit pour la 1re fois par G. Rat

Tome second, Paris, E. Leroux, in - 8 pp. 820.

انّ بين الكتب الادبيّة الجامعة لاحوال العرب وحكمهم وآدابهم وتواريخهم قد امتاز كتاب المستطرف في كلّ فنّ مستظرف للامام شهاب الدين الابشيهي ضمّنهُ صاحبهُ من اقوال الحكماء وطُرف البلغاء وحكايات الفكهاء واغاني الشعراء ما ندر وجودهُ في غيره. فلمّا اراد الاستاذ اللغوي الاديب غستاف رات احد اعضاء الجمعيّة الاسيويّة الافاضل ان يوقف بني جلدته على احوال الشرق وآدابه استخار هذا الكتاب ونقلهُ الى الفرنسيّة. وكان قبل ثلاث سنوات انهى القسم الاوّل منهُ (راجع المشرق ٢ : ٧٦٥) واليوم قد انجز القسم الآخر فاهدانا منهُ نسخةً سرَّحنا فيها النظر وقابلنا بعض شذراتها مع الاصل فوجدناها امينةً في النقل مع مراعاة حسن الذوق الفرنسي. فنثني على همّة الناقل ونهنّئهُ عمّا نالهُ من الجوائز والامتيازات من قبل الجمعيّات العلميّة في باريس والمانية وتونس. وكنّا وددنا لو ألحق المترجم هذا القسم الثاني بفهارس لموادّ هذا الكتاب فكان استحقّ بذلك ثناء مخلّدًا يُضاف الى فضل ترجمته

مختصر التعليم المسيحي في الكنيسة والطوائف

لاحد الآباء اليسوعيين طبعة ثانية مهذّبة ومصحّحة ١٩٠٢ (ص ٩٢)

قد عرّبهُ من الافرنسيّة حضرة الخوري الفاضل جرجس فرج صفير

انّ اقبال المدارس الكاثوليكيّة على هذا المختصر المفيد حمل مؤلّفهُ الفاضل على

ان يُعيد طبعهُ بعد تهذيبهِ وتصحيحهِ . فجاء كتابًا كثير الجدوى يشتمل مع صغر حجمهِ على لباب التعاليم اللاهوتيَّة في كنيسة المسيح وعلاماتها المميّزة لها ثم على خلاصة تاريخ الطوائف الشرقيَّة مع جداول لاعيادها واصوامها وغير ذلك من الفوائد التي يحتاج اليها الجمهور لاسيَّما احداث المدارس. وقد وقع في هذه الطبعة ايضاً بعض اغلاط يسهل اصلاحها في طبعة أُخرى . واكثرها في القسم التاريخي وفي تعريب الاعلام مثلًا ص ٤٦ « فرومانوس » والصواب « فرومَنسيوس » وص ٤٨ « اندرنوبل » والصواب « ادرنه » ص ٤٨ و ٥٣ « الروتن » و « الروتيون » والصواب « الروثان » وص ٥٧ « اليـذابت » والصواب « اليصـابت » وص ٥٨ « كوتاتس » والصواب « كوتانس » وص ٦٠ « فاجاقاران » والصواب « دير الزعفران » وص ٦١ « بوخايس » و « بوسنا » و « والجرجيُّون » والصواب « بقرش » و « البشناق » و « والكرج » وص ٦٦ « المبوريستا » والصواب « المصيصي » وص ٧٤ « الصوم النيقاوي » والصواب « صوم نينوى » . وكذلك ليس بصحيح انَّ الكلدان والسريان يتناولون القربان على الشكلين (ص ٥٣) . وقد وجدنا في اصوام الطوائف بعض اختلافٍ مع ما ورد في تقويم البشير ل . ش

شذرات

حادثة المرتينيك نظم الاديب يوسف افندي مشحور

قصيدة حسنة بهذا العنوان نقتطف منها بعض اياتها مع ابداء الشكر لناظمها

خطبٌ دها فاراعَ الكونَ والأمما ... وراحَ يُجري دموعَ العالمينَ دما
عدا فاودى بقومٍ لا عدادَ لهم ... سطا فاردى بلادًا اصبحت رمما
بالامسِ كانت ديارُ الحيِّ زاهرةً ... وثغرهم برغيدِ العيشِ مبتسما
وأهلُها في رياض العزّ مرتعهم ... لا يحسبونَ حسابَ الدهرِ ما كتما
واليومَ اصبحَ وجهُ الأرضِ مُضطرِبًا ... والنَّاسُ في هَلعٍ ماذا الَّذي دهما
هل صادمتهم جيوشُ الخصمِ تُسعرهم ... حربًا وقيدُ لظاها يُشبهُ الضرما
أم هلْ سيولُ مياهٍ قد طغت فبلَتْ ... تلكَ الديارَ بلاءٍ أورثَ العُمَما
يا سائرًا في ربوعِ المرتينيكِ أمِلْ ... عنها رِحالكَ إنَّ الخطبَ قد عظُما

صوتٌ مهولٌ ورَعْدٌ لا مثيلَ لهُ قد ضعضع السَّهلَ والوديانَ والقِمَما
زَماجِرٌ وهديرٌ ثمَّ قَعقَعَةٌ وَلاوِلٌ ودُموعٌ حاكَتِ الحُمَما
والأرضُ ساخَتْ بمن يَملُوها سابحةً على بحارٍ لهيبٍ جمرُهُ احتَدَما
عجيجُ بركانِ ذاكَ الأقرعِ احتَدَمَت نيرانُهُ تَنشرُ الويلاتِ والنِّقما
أطوادُ دَجنٍ علت من فوقِ قُنَّتِهِ هوتْ فدمَّرت الاديار والنَّسَما
وظلَّ يَقذِفُ منهُ الجمرَ في حُمَمٍ بئسَ التحمُّمُ يا أهلَ الحمى بهما
جهنَّمٌ فتحت ابوابَ هوَّتِها كأنَّما قد غدا الديَّانُ مُنتقِما
في بُرهةٍ لم تَزِد عشرًا دقائقُها عشرونَ ألفًا وعشرٌ مِثلها رُدِما
مصيبةٌ تَصدعُ الألبابَ رؤيتُها رزءٌ خطيرٌ صداهُ أسمعَ الصمما
لوقعِها اشتَعَلَت كلَّ القلوبِ اسًى هزَّت نوادي ملوكِ الأرضِ والعظما
قامت ملوكُ الملا تبدي مساعدةً تذكَّروا القولَ إنَّ «الطوبى للرحما»
وأجزَلوا البَذلَ في شأنِ الذينَ غدَوا هدفًا لوقعِ سهامِ الدهرِ حينَ رمى
وكانَ أوَّلهم ذاكَ الذي اضطرمت في صدرهِ جمراتُ الحبِّ مضطرما
ذاكَ المزيرُ سجينُ الفاتيكانِ ومَنْ مِنَ العرينِ تراهُ راعيَ الغَنَما
اجفانهُ لأنينِ المبتلينَ بكت وقلبهُ لمصابِ المرتينيكِ دَما
قالَ الرسولُ فمن يَشقى ولستُ أنا أشقى ومَن يُبتلى منكم ولستُ انا
هذا الذي جودُهُ للنَّاسِ قاطبةً مثلُ السحابِ ومثلُ البحرِ حينَ طما
ألطافهُ سارتِ الركبانُ تنشِدُها للعالمينَ وفيهِ المدحُ مُنسجما...

شهادة روسي اورثدكسي في الكنيسة الرومانيَّة أطلعنا على مقالة للكاتب الروسي البارع روزانوف ظهرت في ١١ كانون الاول الشرقيّ في اعظم جراند روسيَّة «نوڤيه ڤراميه» (الزمن الجديد) تحت هذا العنوان «السماوي والارضي» أتسع فيها على سلطة البابا الكنسيَّة واثبت انَّ الحبر الروماني وحدهُ يمكنهُ ان يسند الى الانجيل سلطتهُ المطلقة على كل النصرانيَّة. ومما قالهُ: «ان كنيسة المسيح كهرم شاهق العلوّ ينتهي الى نقطة وما هذه النقطة سوى سلطة بابا رومية الذي يملك على كلّ البناء. فهو الراعي كما قال الرب يرعى الخراف والنعاج. وليست رعايتهُ هذه من نفسهِ بل

أعطيت لهُ من المسيح كما أعطي اليشاع رداء اليًا النبي ٠ ونتعجّب كل العجب كيف اساقفتنا نقضوا اباس البيعة بنكرانهم على نائب المسيح سلطتهُ فحرّفوا معنى الانجيل « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سابني كنيستي » زاعمين انّ هذا القول لا يتضمّن سلطةً تعزّ بطرس وخلفاءهُ عن بقيّة البطاركة والاساقفة وجعلوا ينسبون الى بابا رومية العظمة والكبرياء في تأييد سلطتهِ السامية وهم لم يأنفوا من ان يدَّعوا لانفسهم سلطاناً لم يُعطوهُ وقيسوا ذواتهم مقام الباباوات لعمري لقد ضلّوا سواء السبيل واضلوا معهم ٠ فليسمع اخوتنا الروم قول كاتب نحرير من كتبتهم وليحكموا حكماً صوابيًا

شكر سرّنا انّ جريدة « المعلومات » استحسنت مقالة المشرق (ص ٥٢٩) في تاريخ المرتينك ومصابيا فاثبتت منها قسمًا في احد اعدادها الاخيرة (ع ٤٧٠) فنشكرها على ذلك ٠ ولكنّنا كنّا وددنا لو اشارت رصيفتنا الى المجلّة التي نقلت عنها

تصحيح افادنا العلّامة الجليل الدكتور رهين مدرّس العربيّة في كليّة كونيباغ انّ ترجمة الكامل لابن الاثير الى الفرنسيّة التي ذكرناها في المشرق (٥ : ٦٢٣) لا تحتوي الّا قسمًا من هذا التأليف ٠ وهو امر صحيح فاتنا التنبيه عليه ٠ وكذلك استلفت انظارنا الى ترجمة كتاب الحماسة بالشعر الالمانيّ للمعلّم روكرت (Rückert) وفي آخرها فهارس حسنة

آلة جديدة لتدوين الانواء والصواعق اخترع الابوان اليسوعيّان يوسف فني (J. Fényi) مدير المرصد الفلكي في كالوتشا من اعمال المجر والاب حنّا شريبر (J. Schrieber) آلةً غاية في اللطف والدقّة اثنت عليها المكاتب العلميّة الكبرى ٠ والآلة المذكورة عبارة عن ملفّات معدنيّة وابر ممغنطة ودواليب متعدّدة تُعرض في الهواء فتدوّن من تلقاء نفسها كلّ حركات الانواء والصواعق على مسافة نحو مئة كيلومتر من دائرتها وتنذر بها بواسطة اجراس تلغرافيّة

سسل رودس والكنيسة الكاثوليكيّة نشرت المجلّة الانكليزيّة الكبرى المدعوّة الراصد (the Spectator) ومجلّة المجلّات الانكليزيّة مقالة عن سسل رودس ذكرت فيها اعتبار هذا الرجل المسمّى ملك جنوب افريقية للكنيسة

الكاثوليكية وهذا تعريب كلامهِ بالحرف: قال في مأدبة حافلة « اني اجلُّ اجلالًا كبيرًا الكنيسة الكاثوليكية الرومانيَّة وعلى ظنّي انها الديانة الوحيدة في العالم التي تطابق تعاليمها المبادىء المنطقية ولو مكّنتني الفرصة لاحببت ان انضمَّ الى عداد الرهبان اليسوعيين. او يعرف احد منكم اليسوعيين؟ اما انا فقد اجتمعت بكثيرين منهم في بلاد رودزيَّة فوجدتهم فئة عجيبة تستحق كلَّ اعتبار وقد اخذ العجب مني مأخذهُ لمَّا تعرَّفت بهم حتى اني اكشف قبعتي احترامًا امامهم اجمالًا وافرادًا. وليس اعتباري لهم لما يفعلون او يقولون فقط. وانَّما اجلُّهم خصوصًا لما هم يتحلّون بهِ من الصفات. فانَّ معرفتي لاشخاصهم ذلك ما أثّر فيَّ هذا التأثير البليغ ». (قلنا) أين يا ترى هذا القول لرجل كسل رودس من سفاسف بعض اصحاب الاغراض في بلادنا يرمون الجزويت بتُهم فريَّة كلُّها زور وبهتان

اسئلة واجوبة

س سألنا الاديب حنَّا يوسف باسيل: ١ً ما هي عجائب الدنيا السبع عند القدماء. ٢ً ما هو لنز كريت

عجائب الدنيا السبع – لنز كريت

ج ١ً قد اختلف العلماء في تعريف عجائب الدنيا السبع وانَّما الاصح انها التالية: جنائن بابل المعلَّقة واسوارها. ثم اهرام مصر. ثم تمثال المشتري في بلاد اولمبية. ثم صنم رودس. ثم هيكل ديانة في افسس. ثم ضريح موزول ملك كارية في هليكرناس. ثم منارة الاسكندريَّة. والبعض يحسبون منها غير ذلك كتمثال منيرفة في اثينة وتمثال ابولُّون في جزيرة ديلوس. وحصن رومة المعروف بالكابيتول. ولنز كريت وغير ذلك. ٢ً امَّا لنز كريت فهو عبارة عن اسراب واسعة تتنفذ مقاصيرها العديدة في بعضها بحيث لم يمكن احدًا الخروج منها اذا دخلها. وفي خرافات اليونان انَّ باني هذا القصر العجيب اسمهُ ديدال فدُعيت هذه الاسراب باسمهِ وانَّ البطل ثيساوس افلت منها بعد ان قتل فيها تنّينًا يدعى المينوتور

س وسأل بعض الادباء ما اصل هذه الالفاظ الدارجة: مشوار وكويّس وشوب

اصل بعض الفاظ دارجة

ج نظنُّ انَّ المشوار بمعنى التنزه منقولة مجازًا عن العربية مِشوار وهو ميدان تُعرض فيها الخيل اقبالًا وادبارًا. وكويّس تصغير كيّس على الشذوذ. امَّا شوب فسريانية (ܫܘܒܐ) ومعناها الحرّ والسّموم ل. ش